قناة زاد العلمية

أكاديمية زاد
ZAD ACADEMY

التربية الإسلامية

المستوى الثاني: أعمال القلوب

إعداد: قسم المحتوى التعليمي بقناة زاد العلمية

لصالح برنامج أكاديمية زاد مع مؤسسة International Islamic Academy Society

بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد


International Islamic Academy Society



الإصدار التجريبي ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م





التربية الإسلامية

المستوى الثاني

(أعمال القلوب)

إعداد: قسم المحتوى التعليمي بقناة زاد العلمية

لصالح برنامج أكاديمية زاد مع مؤسسة International Islamic Academy Society

بإشراف الشيخ: محمد صالح المنجد





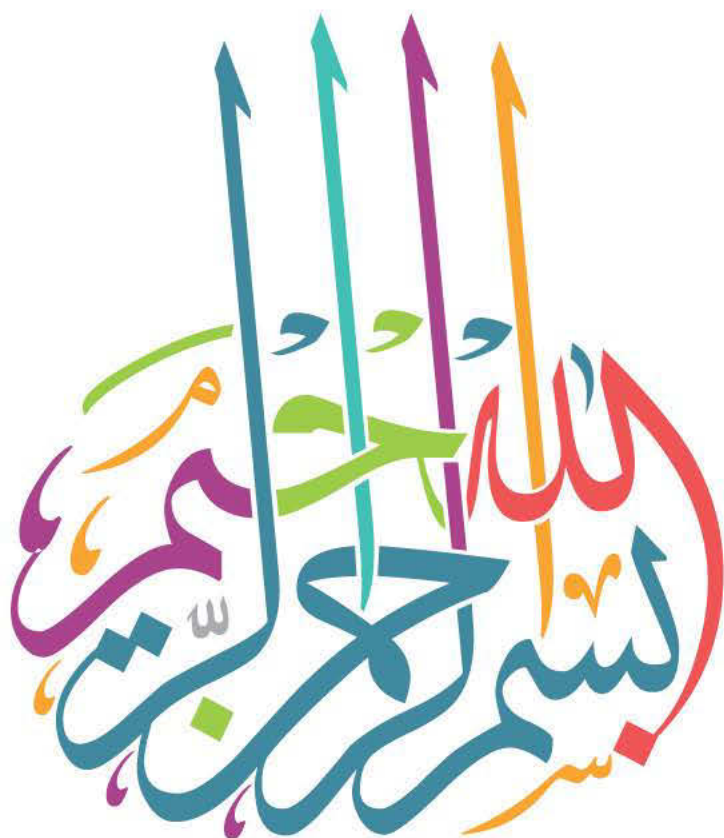
International Islamic Academy Society

الإصدار التجريبي

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



مجموعة زاد
ZAD GROUP


بسم الله الرحمن الرحيم


أكاديمية
ZAD ACADEMY
ما لا يسعُ المسلمَ جهلُه

كلمةُ المشرفِ العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن العلم الشرعي من أهم الضرورات التي يحتاجها المسلمُ في حياته، وتحتاجُها الأمةُ كلُّها في مَسيرتِها الحضاريةِ؛ لذا جاءت النصوص الشرعية في الإعلاء من شأنه وشأنِ حامِليه، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرادُ بأولي العلمِ هنا علماءُ الكتابِ والسُّنة»، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وفي الحديث: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**». رواه مسلم.

ولما كان من الأهدافِ الكبرى لـ(مجموعة زاد) إيصالُ العلمِ الشرعيِّ إلى الناسِ بشتَّى الطُّرُقِ، وتيسيرُ سبلهِ، فقد تبنَّت فكرةَ إنشاءِ برنامج (أكاديمية زاد) لصالح International Islamic Academy Society، والتي تقوم على برنامجٍ تعليميٍّ يهدفُ إلى تقريب العلمِ الشرعي للراغبين فيه، عن طريقِ الإنترنت، وعن طريقِ قناةٍ تلفزيونية خاصةٍ، سعيًا لتحقيق المقصد الأساسِ الذي هو نشرُ وترسيخُ العلمِ الشرعي الرصينِ، المبني على أسسٍ علميةٍ صحيحةٍ، وفقَ معتقدٍ سليمٍ، قائمٍ على كتابِ اللهِ وسنةِ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بشكلٍ عصري ميسَّرٍ، فأسأل الله تعالى للجميع العلم النافع والعمل الصالح والتوفيق والسداد والإخلاص.

محمد صالح المنجد

سلسلة برنامج
أكاديمية زاد

المستوى
الثاني

الحمد لله القائل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥]. والصلاة والسلام على رسول الله المؤيد بالمعجزات القائل صلوت الله وسلامه عليه: «**أما واللهِ! إني لأتقاكم للهِ، وأخشاكم لهُ**». رواه البخاري ومسلم؛ وبعد.

فإننا في مأزقنا الذي نعيش فيه، وفي وضع الأمة الإسلامية الراهن نحتاج إلى الإخلاص ومتابعة قلوبنا ونوايانا لإصلاح هذا الوضع، وللخروج من هذا المأزق، فهناك مشاريع إسلامية كبيرة قامت ثم أُجهِضَتْ بسبب عدم الإخلاص، وبسبب الرياء وعدم النية الحسنة.

ومن هذا المنطلق كان هذا المستوى الدراسي عن أعمال القلوب؛ والتي عليها مدارُ كلِّ شيءٍ، وعليها يدور قبول العمل من عدمه، ليكون معينا لنا على أعمال الخير، دون عوائق باطنة تعرقل من عملنا.

وأعمال القلوب لها ثمراتٌ عظيمة في الدنيا والآخرة، فهي سرُّ النجاح في أعمال الدنيا وفي أعمال الآخرة، وأهلها دائمًا يكونون سعداء منتجين أوفياء موصوفين بالخير؛ ولذا يقول ابن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وددت لو أنه كان مِن الفقهاء مَن ليس له شغلٌ إلا أن يعلِّم الناس مقاصدَهم في أعمالهم، ويقعد للتدريس في أعمال النِّيات ليس إلَّا».

فمما يُعين على العمل الإسلاميِّ بعد الإخلاص لله: التوكل عليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ فمتى توكَّل على اللهِ حصل على راحةٍ نفسيةٍ، وارتياح بالٍ، مكملًا مسيرة عمله، آخذًا بالأسباب التي تؤدي إلى نجاحه، معرضًا عن الكسل والرَّجْم بالغيبِ والخرافات.

ومن أعمال القلوب المُعينة على العمل أيضًا: التفكُّر والمحاسبةُ اللذان يعينان على التخطيطِ والتروِّي، وإصلاح المسيرة وإحسان العمل. وممَّا يعين على الإنتاج: الرَّجاء والأملُ والخوفُ والمحبَّةُ، فلا أفضل لنيل التوفيقِ والهدايةِ من رجاءِ اللهِ تعالى، والخوفِ منه ومحبته والتعلُّقِ بأسمائه

الحسنى وصفاته العلى، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرَّجاء حَادٍ يحدُو بالراجي في سيره إلى الله، ويطيّب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرَّجاء لما سار أحد؛ فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحبُّ، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء».اهـ.

وقد يدخل في قلب الإنسان شيءٌ من رجاء الناس، وهذا دَخَنٌ لا يكاد يسلم منه شخصٌ؛ فمتى ساويتَ رجاءَ الله برجائك للمخلوق وقعت في الشِّرك، وقعدت عن رَكْب النجاة؛ ومتى آثرت رضا الله على رضا من سواه أفلحتَ ونجحتَ، وكنتَ من المُنْجِزين في حياتك وأعمالك.

وممَّا يُعين على الإنتاج وفعل الخير الرضا عن الله والرِّضا بالإسلام وبنبوة محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يعمل بقلبٍ راضٍ يسبق في إنتاجه المُكْرَهِين بمراحل، ويثمرُ أكثرَ مما يثمرُ غيره ويكون عمله مباركًا. وبما أنَّ النفس الأمارة بالسوء من أهم العوائق التي تُعيق عن العمل والإنتاج والمثابرة والإتقان، أمرنا الله تعالى بتزكية النَّفس ونهيها عن الهوى ومحاسبتها؛ فالمحاسبةُ من أهمِّ الأعمالِ التي ينبغي التركيزُ عليها في زمنِ المُشْغلاتِ والمُلْهِيَاتِ.

ونحن في هذا الزمن أيامُنا شبيهةٌ بأيامِ الصبرِ التي تحدَّث عنها النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث الحياةُ المليئةُ بالمُنغِّصاتِ، والمُشْغلات الكثيرةِ عن العملِ، والابتلاءِ في الدِّينِ، والشَّهَواتِ المستعِرة، والشُّبُهات المُسْتحكِمة؛ ولذا ليس ثمةَ عطاءٌ خيرٌ وأوسع من الصبر؛ فبالصبرِ نصمد أمامَ العوائق والمُلْهياتِ، فلا تشغلنا ولا نضعف أمامَها ولا ننقادُ لها، بل نسيرُ في طريقنا على بصيرةٍ، صابرين متوكِّلين على الله تعالى، وهكذا يجدُ العبدُ نفسَه بحاجةٍ ماسَّةٍ لتعلُّم أعمالِ القلوب، والتي بها يسير في دينه ودنياه، حتى يصل إلى مراد الله تعالى على وَفْقِ ما أراد سبحانه من العباد، والله الموفِّق.

أعمالُ القُلُوب



الإخْلاص

وهو لبُّ العبادة وروحُها، وأساس قبول الأعمال وردِّها، وهو أهمُّ أعمالِ القلوبِ وأعلاها، وهو مفتاح دعوة الرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]؛ لذلك كلِّه كان الأجدرُ أن تكون البدايةُ بالحديثِ عن الإخلاص.

الإخلاصُ في اللغة: يقال أخلصَ الشيءَ، جعله مَحْضًا ولم يخلط معه غيرَه. كما قال تعالى: ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل:٦٦].

الإخلاصُ في الاصطلاح: قال ابن القيم: «هو إفراد الحقِّ سبحانه بالقَصْد في الطاعة».

وجوبُ الإخلاصِ وأنه شرطٌ لقبولِ العملِ: لقد أمر اللهُ عَزَّوَجَلَّ عبادَه بالإخلاصِ في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه، مما يدلُّ على تأكُّدِ وجوبه وأنه شرطٌ لقبولِ العملِ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال بعضُهم: «ألا تَطْلُبَ على عملك شاهدًا إلَّا اللهَ، ولا مُجَازيًا سواه».

قال الشاعر:

إذا لَــم يَكــنْ للهِ فِعْلُــكَ خَالِصا   فَكــلُّ بِناءٍ قَدْ بَنَيْتَ خَرَابُ
فَلِلْعَمَلِ الإِخْلَاصُ شَـرْطٌ إِذَا أَتَى   وَقَـدْ وَافَقَتْـهُ سُنَّـةٌ وَكِتَـابُ

أهميّةُ النِّيّةِ: مدارُ الأعمالِ على النِّيـَّةِ، وإنما يُعطَى الإنسانُ على حَسَب نيَّته، ويبعثُ على حَسَبِ نيته.

فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**». متفق عليه.

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعلَّمُوا النِّيَّةَ فإنها أبلغُ من العمل».

من ثمرات الإخلاص:

قبولُ العملِ:

قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الله لاَ يَقْبَلُ مِنْ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ». رواه النسائي، وصححه الألباني.

حصولُ الأجْرِ ومُضاعفتُه:

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا». متفق عليه.

قال ابنُ المباركِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رُبَّ عَمَلٍ صغيرٍ تُكثِّره النيةُ، ورُبَّ عملٍ كبيرٍ تُصغِّره النِّيةُ».

وقال الزبيدُ اليامِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إني أحبُّ أن تكون لي نيةٌ في كلِّ شيءٍ؛ حتى في الطعامِ والشرابِ».

إدراكُ العَمَلِ وإنْ عَجَزَ عنه:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمْ العُذْرُ». متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ».

وأيضًا فقد يحصل الرجلُ الفقيرُ على أجرِ الغنيِّ المتصدِّقِ بماله إنْ أحسن النيةَ، فعن أبي كَبْشَةَ الأنماريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ». قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ...» رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني.

النَّجاةُ من النارِ:

فقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾
إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١].

من عواقبِ تركِ الإخلاصِ:

دخولُ النارِ يومَ القيامةِ: قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ضَرَبَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رُكبتي فقال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثلاثةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ». وهم مَنْ جاهَدَ أو تعلَّم وعلم أو أنفقَ مالَه رياءً وسمعةً. والحديث رواه الترمذي وحسنه.

عدمُ قبولِ العملِ: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رواه مسلم.

من علاماتِ الإخلاصِ:

عدم حبِّ الشهرة - عدم حبِّ المدحِ والثناءِ - الحماسُ للعمل للدِّينِ - المبادرةُ للعمل واحتسابُ الأجر - الصبرُ والتحمُّلُ وعدمُ التشكِّي - الحرصُ على إخفاءِ العملِ - إتقانُ العملِ في السرِّ - الإكثارُ من العَمَلِ في السِّرِّ - أن يكون عملُ السرِّ أكبرَ وأكثرَ من عَمَلِ العلانيةِ.

قال الفضيلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما يريدُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ منك نيتَك وإرادتَك».

فهذه كلُّها من علاماتِ الإخلاصِ، وليحذر المسلمُ، فإن من شاهد في إخلاصِهِ الإخلاصَ، فإن إخلاصَه يحتاجُ إلى إخلاصٍ.

كان زين العابدين علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة، ويقول: «الصدقةُ في سوادِ الليلِ تطفئُ غضبَ الرَّبِّ». وكان ناسٌ من أهلِ المدينةِ يعيشون لا يدرون من أين معاشُهُم؟ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤتون به في الليلِ، ورأوا على ظهره آثارًا مما كان ينقله من جرب الدقيق بالليل، وقد كان يَعُول مائة بيت!!.



حكمُ عملِ بعضِ أعمالِ الدنيا أثناءَ العملِ للآخرة:

كأنْ يعملَ الرجلُ عَمَلًا شرْعِيًّا وينوِيَ شيئًا آخرَ مباحًا مع قصدِ وجهِ اللهِ، كأن يصومَ لوجهِ اللهِ، وينوي مع صيامِهِ الحفاظَ على صحَّتِهِ.

وكأن يسافرَ الرجلُ للحجِّ لوجهِ اللهِ، وينوِيَ مع حجِّه التجارة.

وكأن يجاهدَ الرجلُ لوجهِ اللهِ، وينويَ مع جهادِهِ الحصولَ على شيءٍ من الغنيمةِ ليطعمَ بها أهله وولدَه.

وكأنْ يمشِيَ الرجُلُ إلى المسْجِدِ قاصدًا التقرُّبَ إلى اللهِ، وينويَ مع ذلك رياضةَ المشْيِ.

فهذا لا يُبطِلُ الأعْمَالَ، ولكنه قد ينقِصُ من أجْرِها بقدْرِ ما قام في قلبِهِ من أمْرِ الدُّنيا، والأفضلُ ألا ينويَ الرَّجُلُ بعَمَلِهِ إلا التقرُّبَ للهِ تعالى، ثم يأتي أمر الدنيا تَبَعًا.



الرِّياء مصدر راءى يرائي، أي: عَمَل عملًا ليراه الناس.

وهو خُلقٌ ذميمٌ، ومن صفاتِ المنافقين، كما قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجَ علَينا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحنُ نتذاكَرُ المسيحَ الدَّجَّالَ، فقالَ: ألا أخبرُكُم بما هوَ أخوَفُ عليكُم عندي منَ المسيحِ الدَّجَّالِ؟ قالَ: قُلنا: بلَى، فقالَ: «الشِّركُ الخفيُّ، أن يقومَ الرَّجلُ يصلِّي، فيُزيِّنُ صلاتَهُ، لما يرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ الله عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً». رواه أحمد، وحسنه الأرناؤوط.

أشياء يُظنُّ أنها من الرِّياءِ وليْسَتْ منه:

١ أنْ يعمَلَ العَمَلَ لنفسِهِ ويحمَدَهُ النَّاسُ. قيل: يا رسولَ الله، إنَّ الرَّجلَ يعمَلُ لنفسِهِ ويُحِبُّهُ النَّاسُ؟ قال: «تلك عاجِلُ بُشْرى المؤمنِ» رواه ابنُ حبانَ، وأصله في صحيح مسلمٍ.

٢ اكتسابُ الشُّهْرةِ بغيرِ طلبِها، كالعالمِ وطالبِ العِلْم الذي يعملُ على تدريسِ الناسِ وتعليمِهِم أمرَ دينِهِم وإفتائِهِم فيما يُشكِلُ عليهم، قد ينالُ شيئًا من الشُّهْرةِ، فلا يمتنع عن هذا الخيرِ بحجَّةِ الابتعادِ عن الرِّياءِ، بل عليه أن يجاهِدَ نيتَهُ ويمضِيَ في سبيلِهِ.

٣

بعضُ الناسِ قد يرى رجُلًا عابدًا نشيطًا في العبادةِ، فينشطُ للعبادةِ مثلَهُ، فليس هذا رياءً، فإذا قصد بعبادته وجهَ اللهِ فهو مأجورٌ.

٤

تحسينُ وتجميلُ الثيابِ والنَّعْلِ، وطيبُ الرَّائحةِ، كلُّ هذا ليس من الرِّياءِ.

٥

كتْمُ الذُّنوبِ وعَدَمُ التحدُّثِ بها ليس من الرِّياء، بل إننا مطالبون شرْعًا بالسَّترِ على أنفسِنا وعلى غيرِنا، وبعضُ الناسِ يظنُّ أنه لابدَّ من الإخْبارِ بالذُّنوبِ حتى يُصبحَ مخلِصًا، وهو ظنٌّ في غيرِ محلِه، وخديعةٌ من إبليسَ لهذا الرجلِ، لأنَّ الإخبارَ بالذنبِ من باب إشاعةِ الفاحشة بين المؤمنين.



متى يكون إظهارُ العملِ مشروعًا ومتى يكون غيرَ مشروعٍ؟

إظهارُ العملِ وإخفاؤُه له أحوالٌ ثلاثةٌ:

الأولى: أن يكون العملُ من السُّنة إخفاؤُه، فيخفيه، وذلك كقيام الليل والخشوع.

الثانية: أن يكون العملُ من السُّنةِ إظهارُه، فيظهره.

وذلك كالمحافظةِ على صلاةِ الجمعةِ والجماعةِ، والجهرِ بالحقِّ.

الثالثة: أن يكون العملُ بين الإسرارِ والإظهارِ، فيسنُّ إخفاؤُه لمن يخشى من نفسه الرِّياءَ بذلك، ويسن إظهارُه لمن يريد أن يقتديَ الناسُ به، كصدقةِ التطوُّع، فإن المرءَ إذا ظنَّ أنه سيدخل قلبَه شيءٌ من الرِّياء إذا رآه الناسُ، فعليه أن يخفِيَ صدقتَه، وأما إذا ظنَّ أن الناسَ سيقتدون به في صدقتِهِ، وأنه سيجاهد نفسَه في الرِّياء، فيسنُّ له إظهارُ صدقته.



نشاط

١ اذكر -من غير ما مرَّ عليك- نصوصًا من القرآن والسنة في أهمية الإخلاص.

....

....

....

٢ لترك الإخلاص عواقبُ وخيمة، اذكرها، داعمًا ما تقول بالأدلة.

....

....

....

٣ عرف الرِّياء، مبينا الأمورَ التي لا تكون منه.

....

....

....

٤ متى يكون إظهارُ العَمَلِ مشروعًا؟ ومتى يكون غيرَ مشروعٍ؟ اذكر أمثلة غير ما مرَّ عليك.

....

....

....

التَّقْوى

التقوى خيرُ زادٍ للدارِ الآخرةِ، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهي ميزانُ التفاضلِ بين الناسِ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وهي الأنيسُ في الوحشةِ، والمنجيةُ من النقمةِ، والموصِلةُ للجنةِ.

ولأجلِ شرفها وفضلها، فقد أمر اللهُ تعالى بالتعاون من أجلها، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]؛ لأنها الموصلةُ لمرضاةِ اللهِ تعالى.

التقوى لغةً: الوقاية.

وفي الاصطلاح: قال طَلْق بن حَبِيبٍ لما سألوه عن التقوى: «أن تعملَ بطاعةِ اللهِ، على نورٍ من اللهِ، ترجو ثوابَ اللهِ، وأن تتركَ معصيةَ اللهِ، على نورٍ من اللهِ، تخافُ عقابَ الله».

فلا يراك اللهُ تعالى حيث نهاك، ولا يفتقدُك حيث أمرك! فإذا نهاك أن تجلسَ في مجالسَ يكفرُ فيها بآياتِ اللهِ، ويستهزأُ بها فلا يجدْك هناك، وإذا أمرك أن تكونَ في المسجدِ والصلواتِ الخمسِ والجمعةِ فلا يفتقدْك هناك.

خَلِّ الذنوبَ صغيرَها ... وكبيرَها ذاك التقى
واصنع كَمَاشٍ فوق أر ... ضِ الشَّوك يَحْذرُ ما يرى
لا تحقِرنَّ صغيرةً ... إن الجبالَ من الحصى

سأل عمرُ بنُ الخطاب أبيَّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن التقوى؟ فقال: هل أخذتَ يومًا طريقًا ذا شوكٍ؟ قال: نعم. قال: فما عملتَ فيه؟ قال: تَشَمَّرْتُ وحَذِرْتُ. قال: فذاك التقوى.

وقال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: «أن يطاع فلا يُعصَى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفَر».

الوصية بالتقوى:

أمرَ اللهُ بالتقوى ووصى بها في أكثرَ من موضعٍ في كتابهِ العزيزِ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمرُ بالتقوى كان عامًّا لجميعِ الأُمَمِ».

وقال بعضُ أهلِ العلمِ: «هذه الآيةُ هي رَحَى آيِ القرآنِ كلِّه؛ لأنَّ جميعَه يدورُ عليها».

وحثَّ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، فقال لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وأتبعْ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وأوصى بها حال وداعه لأصحابه، فقال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله... الحديث**». رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

تقوى اللهِ هي طريقُ ولايتهِ:

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

فنَيْلُ وِلايةِ اللهِ هو بالتقربِ إلى اللهِ بالأعمالِ الصالحةِ، لا بالطُّبُولِ وأنواعِ البدعِ المحدثةِ، وليس دليلًا عليها أن تطيرَ في السماءِ أو تمشِيَ على الماءِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ... الحديث**». رواه البخاري، فهذا الحديث دليلٌ على أن ولايةَ اللهِ تعالى لا تنالُ إلا بالأعمالِ الصالحةِ، الموافقةِ للشَّرعِ.



تنبيهٌ: بدعوى التقوى؛ امتنع كثيرٌ من الناسِ عن بعضِ المباحاتِ الخالصةِ التي لا يشوبها شائبةُ الحرامِ، وهذا من وضعِ الشيءِ في غيرِ محله، وهو ظلمٌ من العبدِ لنفسه؛ لأنه حرم نفسَه من المباحاتِ تعبُّدًا، وليس ذلك من التعبُّدِ في شيءٍ.

مراتبُ التقوى:

إذا أراد العبدُ أن يتقِيَ اللهَ فإنه يجبُ عليه أن يتعلَّمَ العِلمَ الذي أنزله اللهُ إلى العبادِ ولا يُعرِضَ عنه، فلا تقوى إلا بعلمٍ وامتثالٍ.

ذكرها الله في كتابه، فقال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

فأفادت الآيةُ أن المراتبَ ثلاثةٌ:

١ الظالمُ لنفسه.

وهو الذي يقرُّ بالتوحيدِ ويصدِّق بالرسولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويأتي بأركانِ الإسلامِ والإيمانِ، ولكنه لا يحرص أن يقي نفسَه دخولَ النارِ بالكلية، فيفرِّط في بعض الواجباتِ ويفعل بعضَ المحرماتِ، وهذا من العصاةِ الموحِّدين الداخلين في المشيئةِ، إن شاء اللهُ عفا عنهم، وإن شاء عذَّبهم بحسَبِ أعمالهم، حتى يخرجوا من النارِ يومًا من الأيام.

لكن هذا لا يعني استصغارَ الذنوبِ. فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ».

رواه أحمد، وصححه الألباني.

٢ المقتصِدُ.

وهو من يتقي كلَّ ما يكونُ سببًا للعذابِ في النار، ولو لبرهةٍ يسيرةٍ لكنه لا يسابقُ في الخيراتِ، قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١].

٣ السابقُ بالخيْراتِ.

وهو خيرُ تلك المراتبِ الثلاثةِ، وهو من يفعلُ الواجباتِ، ويتجنبُ المحرَّماتِ، ويُسارِعُ في الخيراتِ، ولا يعني هذا أنه لا يخطئُ، فقد قال ﷺ: «كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ» أخرجه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم: ٣٢].

من صفاتِ المتَّقين:

للمتقين صفاتٌ يُعرَفون بها بين الناسِ، ذكر اللهُ تعالى بعضًا منها، ومن هذه الصفاتِ:

١ تحرِّي الصِّدقِ في الأَقْوالِ والأَعْمالِ.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

٢ تعظيمُ شعائرِ اللهِ ومناسكِه. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، ومعنى تعظيمِ شعائرِ اللهِ أن المرءَ يعظِّمُ حُرُماتِ ربهِ فلا ينتهكها، ويعظِّمُ أوامرَ اللهِ فيأتي بها على وجهها.

٣

تحرِّي العدْلِ والحكمُ به. قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

٤

اتباعُ سبيلِ الأنبياءِ والصادقين والمصلِحين، والسَّيرُ في طريقِهم. قال جَلَّوَعَلَا شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

السبيلُ إلى التقْوى:

طلبُ التقوى من اللهِ.

فيكثر من دعاء: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا»، وغيره من الأدعية.

العملُ على إصلاحِ قلبِهِ. قال عون بن عبد الله: «فواتحُ التَّقْوى حسنُ النيةِ».

العملُ على إصلاحِ الظّاهرِ. وذلك بموافقةِ سُنةِ وهدي النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ومن السُّبُل إلى التقوى: الصبرُ، ومحاسبةُ النفسِ، والحياءُ، والكرمُ، والصَّومُ، وأكلُ الحلالِ.

ثمراتُ التقوى:

الخير كله في تقوى اللهِ تعالى، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكَ بِتقْوَى الله؛ فَإِنَّها جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ» رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلًا جاءه فقال: أوصِني. فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبلك، فقال: «أُوصِيكَ بتقوى الله؛ فإنه رأسُ كلِّ شيءٍ». رواه أحمد، وحسنه الألباني.

ومن أعظمِ ثمراتِ التقْوى:

1

دخولُ الجنةِ والنجاةُ من النارِ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الله خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ مِلْءُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَقَسَمَ مِنْهَا رَحْمَةً بَيْنَ الخَلَائِقِ، بِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَبِهَا يَشْرَبُ الوَحْشُ وَالطَّيْرُ الـمَاءَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُ الخَلَائِقُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ قَصَرَهَا عَلَى الـمُتَّقِينَ، وَزَادَهُمْ تِسْعًا وَتِسْعِينَ». رواه الحاكم، وصححه.

2

الكرامةُ عند اللهِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

3

السعادةُ في الدُّنيا والآخرةِ. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

٤

الهدايةُ للحقِّ، وتكفيرُ السيئاتِ، ونيلُ فضلِ اللهِ تعالى. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

٥

سعةُ الرِّزْقِ. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

٦

تيسيرُ الأُمُورِ. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

٧

البركةُ. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وهذه امرأةٌ من أهلِ الباديةِ أدركت هذه الثَّمرةَ، فأوصتْ ابنًا لها أراد سَفَرًا، فقالت: «أوصيك بتقوى اللهِ؛ فإن قليلها أجدى عليك من كثيرِ عقلِك».

٨

الوقايةُ، والحفظُ، والنَّصرُ، وحُسْنُ العاقبةِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

وعن الأغرِّ أبي مالكٍ قال: لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بعث إليه فدعاه، فأتاه، فقال: «إني أدعوك إلى أمرٍ متعبٍ لمن وليَه، فاتقِ اللهَ يا عمرُ بطاعته، وأطِعْهُ بتقواه؛ فإن المتَّقِيَ آمِنٌ محفُوظٌ».

٩

التعويضُ بأفضلَ مما تركه اتقاءً للهِ تعالى. عن أبي قتادة وأبي الدَّهْماء قالا: أتينا على رجلٍ من أهلِ الباديةِ، فقال: أخذ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدي، فجعل يعلِّمُني مما علَّمه اللهُ تبارك وتعالى، وقال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ الله إِلَّا أَعْطَاكَ الله خَيْرًا مِنْهُ». رواه أحمد، وصححه الأرناؤوط.

الذي يستعجل موعودَ الله ويستبطئه؛ عليه أن ينظر في نفسه أولًا:



هل حقَّقَ واستوفى التقوى حقَّها؟!

فلا شكَّ أن من يفعل أمورًا دونَ أمورٍ وينتهي عن نواهٍ دون نواهٍ لا شك أنه لم يحقق كمال التقوى.

فعليه إذن أن يحاسب نفسه، ثم يلتزم التقوى لينالَ تلك الثمراتِ.



نشاط

١ من خلال دراستك، تكلَّم عن ثمارِ التَّقوى.

٢ استشهدْ من القرآنِ على عظيمِ منزلةِ التقوى.

٣ اذكر باختصارِ صفاتِ المتَّقين.

الخَوْف

كم أطلق الخوفُ من سجينٍ في لذَّتِهِ! وكم من عاقٍّ لوالديه ردَّه الخوفُ عن معصيتِهِ! وكم من عابدٍ للهِ بكى من خشيتِهِ! وكم من مسافرٍ إلى اللهِ رافقه الخوفُ في رحلتِهِ! وكم من محبٍّ لله ارتوت الأرضُ من دمعتِهِ! فللّهِ ما أعظمَ الخوفَ لمن عرف عظيمَ منزلتِهِ! ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

الخوفُ لغةً: الذُّعْرُ والفزَعُ، وهو ضدُّ الأمنِ.

وفي الاصطلاح: توقُّعُ حُلولِ مكروهٍ أو فواتِ محبوبٍ؛ لعلامةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ.

ويُستعمل في الأمورِ الدنيويةِ والأخرويةِ.

الخشيةُ: خوفٌ وزيادة، قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخشية: خوفٌ مبنيٌّ على العلمِ بعظمةِ من يُخشى، وكمالِ سلطانه».

وجوبُ الخوفِ من اللهِ: الخوفُ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واجبٌ من أهمِّ الواجبات الشرعية، ومن أعظمِها؛ لما يترتَّبُ عليه من الآثارِ المهمةِ.

والخوفُ من اللهِ دونَ غيرِهِ شرطٌ من شروطِ الإيمانِ، وقد أمر اللهُ تعالى بإفرادِهِ بالخوفِ وتعظيمِ مقامه جَلَّ وَعَلَا، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[الأعراف: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦].

فالخوف من الله تعالى أصلٌ عظيمٌ من أصولِ الدِّينِ، لا يصحُّ الإيمانُ إلا به، وهو أصلُ التقوى، ورأسُ الحكمةِ.

قال الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المؤمنَ جمع إحسانًا وخشيةً، وإن المنافقَ جمع إساءةً وأمنًا!».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «منْزلةُ الخوفِ هي من أجلِّ منازلِ الطريقِ، وأنفعِها للقلبِ، وهي فرضٌ على كلِّ أحدٍ».

منزلةُ الخوفِ:

الخوفُ من المقاماتِ العُليا: كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

لذا بلَّغها النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لله وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**». رواه البخاري ومسلم.

كما كانت خشيةُ الله تعالى في الغيب من أجلِّ وأعظم المقاماتِ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

أقسامُ الناسِ في الخوفِ من اللهِ:

الأول: السَّابِقونَ المقرَّبون، وهم الذين حملهم الخوفُ من اللهِ تعالى على المسارعةِ في الخيراتِ والتقرُّب إلى الله تعالى بالفرائضِ والنوافلِ والوَرَعِ واجتنابِ المحرماتِ والشُّبُهات؛ وقد أثنى الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].



الثاني: المقتصِدون وهم الذين حملهم الخوفُ من اللهِ تعالى على اجتنابِ المحرَّماتِ وفعلِ الواجباتِ، فهؤلاء هم المتقون المقتصدون.

الثالث: المفرِّطون الظالمون لأنفسِهم من المسلمين، وهؤلاء معهم أصلُ الخوفِ من اللهِ تعالى، بحيث يمنعهم من الشركِ الأكبرِ وارتكابِ ناقضٍ من نواقضِ الإسلامِ والامتناعِ عن بعضِ الكبائرِ، لكنهم لقلةِ خوفِهم من اللهِ تعالى يرتكبون بعضَ الكبائرِ ويتركون بعضَ الفرائضِ الواجبةِ والعياذُ باللهِ، فهؤلاء مذنبون مستحقُّون للعذابِ بقدرِ ما وقعوا فيه من المخالفةِ، وهم باقون في دائرة الإسلامِ.

الرابع: الغلاة المُفْرِّطُون وهم الذين حملهم الخوفُ الشديدُ على نوعٍ من اليأسِ من رحمة الله؛ فهؤلاء مذنبون غلاةٌ، فلا يجوز للمؤمن أن ييأسَ من رَوْح اللهِ، ولا أن يقنطَ من رحمتِهِ.

أنواعُ الخوفِ:

الأولُ: الخوفُ من سخطِ اللهِ تعالى، والحرمانِ من رضوانه، وهذا هو خوفُ المحبِّين، وسخطُ اللهِ تعالى له سببٌ واحدٌ، وهو معصيةُ الله؛ لأن العبد إذا اجتنب فعلَ المعصيةِ لم يُعاقَب، ولذلك قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خمسٌ احفظوهن، لو ركبتم الإبل لأنضيتُمُوهُن قبل أن تدرِكُوهُن: لا يخاف العبدُ إلا ذنبَهُ، ولا يرجو إلا ربَّهُ...».

الثاني: الخوفُ من العَذَابِ الدُّنيوِي والأُخْرَوِي، وهذا الخوفُ ملازمٌ لقلبِ المؤمنِ، قال الله تعالى في صفاتِ المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧-٢٨].

ومن ذلك: أن كلَّ معصيةٍ تُوُعِّد عليها بلعنةِ اللهِ وغضبِهِ فهي مجالُ خوفٍ عظيمٍ، وكم من إنسانٍ بقِيَ مُعذَّبًا سَنَواتٍ من عُمُره بسبب لَعنةٍ لُعِنَها على كَبيرةٍ عملها، قد استهان بما عَمِل، ونسِيَ وغَفَل، فلم يتبْ من ذنبِهِ، ولم يسترحْ من عذابِهِ!



الثالث: الخوفُ من فوات الثواب؛ فإن العامل المجتهد يرجو ثمرة عمله، ويخاف أن يخِيبَ سعيُهُ بشيءٍ يقترفه فيخسر ما كان يرجوه من الثوابِ العظيم.

ولا شيء أخوف عند الصالحين من الشِّركِ؛ لأنه محبطٌ لجميع العمل، ولا يُعفى عمَّن ارتكبه مهما بلغ من العلم والعبادة، كيف وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال في أنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

ثمراتُ الخوفِ من اللّهِ:

١ **العلمُ والبصيرة:** قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٢ **السبقُ في الخيرات:** قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

٣ **التمكينُ في الأرض:** قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤].

٤ **الأمن يوم القيامة:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يروي عن ربه جَلَّ وَعَلَا قال: «وَعِزَّتِي، لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ؛ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه ابن حبان، وصححه الألباني.

٥ **النجاة من النار:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ». رواه الترمذي، وصححه الألباني.

٦ **رضا الله:** قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

٧ **الاستظلال بظل العرش:** ففي حديث السبعةِ الذين يظلهم اللهُ في ظلِّه، يومَ لا ظل إلا ظله، ومنهم: «وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ». متفق عليه.

٨ **قرة العين والنعيم في الجنة:** قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

الأسبابُ الجالبةُ للخوفِ من اللهِ:

١

تذكُّرُ جلالِ اللهِ وعظمتِهِ. قال تعالى في شأن عظمته: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآيةَ ذاتَ يوم على المنبرِ، ثم قال: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا العَزِيزُ، أَنَا الكَرِيمُ». فرجف برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبرُ حتى قلنا: ليخرَّنَّ به! رواه أحمد، وصححه الأرناؤوط.

٢

استحضار مشهد الوُقُوفِ بين يدي اللهِ جَلَّ وَعَلَا. وهو أمرٌ واقعٌ لا محالةَ، فمن تفكَّر في هذا المقامِ وخافَهُ في الدُّنيا ازداد خشيةً وخوفًا من اللهِ تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

٣

سماعُ القرآنِ والحديثِ والمواعظِ والخُطَبِ. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

٤

الدُّعاءُ. كان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ». رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

وفي دعاءٍ آخرَ: «اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ». رواه النسائي، وصححه الألباني.



كثرةُ الذِّكرِ. فإن الغفلةَ تقسِي القلبَ؛ ولا يزال الغافلُ يقسو قلبُه شيئًا فشيئًا لكثرة ما يرين عليه؛ حتى يختمَ على قلبه فلا يؤثِّر فيه زجرٌ ولا وعظٌ. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].



الابتعادُ عن أسبابِ الأمن من مكر اللهِ تعالى. فإن للخوفِ موانعَ تمنعه، كالمعاصي، وحبِ الدنيا وزُخْرفِها، والرفقةِ السيئةِ، والغفلةِ، وتبلُّد الإحساس، والتسويف.. الخ.



نشاط

١ ما الأسبابُ الجالبةُ لخشيةِ الله تعالى؟

....

....

٢ لم كان العلماء أكثرَ الناسِ خشيةً لله تعالى؟

....

....

٣ اكتب بحثًا فيه نماذجُ من خشيةِ السَّلفِ لله تعالى.

....

....

الرَّجـاء

الرَّجاء حادٍ يحدو بالرَّاجي في سيره إلى الله، ويطيّب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرَّجاء لما سار أحدٌ؛ فإن الخوف وحده لا يحرِّك العبدَ، وإنما يحركه الحبُّ، ويزعجه الخوفُ، ويحدُوه الرجاءُ.

الرَّجاء لغة: الأمل، يقال: رجَوت الأمْرَ أرجُوه رجاءً.

وفي الاصطلاح: صلةٌ مع الله تحدو بالقلب إلى الأمل بفضله ورضوانه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وضدُّ الرَّجاء اليأسُ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

والسَّاعِي إلى ربِّه بين نَظَرَيْنِ:

١ نظرٍ إلى نفسه وعيوبه وآفاتِ عملِهِ؛ فيفتح عليه بابَ الخوفِ.

٢ ونظرٍ إلى سعةِ رحمة الله وفضله؛ فيفتح عليه بابَ الرجاءِ.

الفرق بين الرَّجاءِ والتمنّي:

أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجدِّ والاجتهاد.

والرجاء يكون مع بذل الجهد، وحسن التوكل.

- فمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابه، أو تاب من الذنوب ورجا مغفرته، فهو الراجي.
- ومن رجا الرحمة والمغفرة بلا طاعةٍ ولا توبةٍ، فهو مُتَمَـنٍّ، ورجاؤه كاذب.

قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: «إن قومًا ألهتهم الأمانيُّ حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنةٌ، ويقول أحدُهم: إني أحسن الظنَّ بربي! وكذب، لو أحسنَ الظنَّ لأحسن العَمَلَ».

ثمراتُ الرَّجاء

يجعل المسلمَ مكثرًا من ذكر الله تعالى ودعائه، ومظهرًا للافتقار إليه وإلى عظيم فضله ورضوانه، وكلما كان الرَّجاءُ أكثرَ كان الاستمرارُ في العبادةِ والمواظبةُ عليها أكثرَ.

يجعل المسلمَ راضيًا بقضاء الله؛ رجاءَ أن يرحمه ويعفوَ عنه ويقيلَ عثرته.

يورثُ المواظبةَ على الطاعاتِ، كيفما تقلبت الأحوال.

ينجي من غضبِ اللهِ، حيث إنَّ الرَّاجيَ كثيرُ السؤالِ لله تعالى، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ». رواه الترمذي، وصححه الألباني.

أسبابُ تُحقِّق الرَّجاء:

- تذكُّرُ نعمِ اللهِ تعالى.
- تذكُّر سوابقِ فضلِ اللهِ على العبدِ.
- تذكُّر وعدِ اللهِ من جزيل ثوابه، وعظيم كرمه وجوده.
- تذكُّر سعةِ رحمةِ اللهِ وأن رحمته سبقت غَضَبَهُ.
- معرفةُ أسمائه الحسنى وصفاته العلى المتعلقة بالرجاء.

المؤمنُ بين الخوفِ والرَّجاءِ:

قال العَيْنِيُّ: «وقد ضلَّ في هذا المقامِ فرقتان: فرقةٌ غلَّبَت جانبَ الرجاء، وفرقة غلَّبَت جانبَ الخوفِ، والذي عليه أهلُ الحقِّ أهل السنة والجماعة الجمع بين المقامين».



قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخشية أبدًا متضمنة للرَّجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطًا، كما أن الرَّجاء يستلزم الخوفَ، ولولا ذلك لكان أمنًا».

والإحسانُ في العبادةِ أن يجمع العبدُ بين الخوفِ والرجاءِ، ومن فعل ذلك كانت رحمةُ الله قريبًا منه.

ومما يُعين على ذلك استحضار الثواب والعقاب؛ فعن أَبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**». أخرجه البخاري ومسلم.

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك**». رواه البخاري.

وهذا يوجِبُ التلازمَ بين الخوفِ والرَّجاءِ، وعدمَ تغليبِ أحدهما على الآخرِ.

قال أهل العلم: «من عبد اللهَ بالحبِّ وحده فهو زنديقٌ، ومن عبد اللهَ بالخوفِ وحده فهو حَرُورِيٌّ، ومن عبد اللهَ بالرَّجاء وحده فهو مُرْجِئٌ، ومن عبد الله بالحبِّ والخوفِ والرَّجاءِ فهو مؤمنٌ موحِّدٌ».

وعليه، فما يدفع القلبَ للعمل ثلاثةُ أمور: المحبة، والخوف، والرجاء، فمن أحب الله أطاعه، ومن خاف الله أطاعه، ومن رجا ثواب الله أطاعه، والكمال أن يجمع العبد بين هذه الثلاثة: فيطيع الله محبةً له، وخوفًا منه، ورجاءً لثوابه وفضله.

غير أن هناك أحوالا يصلح فيها أن يُغلَّب جانبُ الرَّجاءِ، وأحوالا يصلح فيها أن يُغلَّب جانبُ الخوفِ.

فمن الأحوال التي يُغلِّب فيها العبدُ جانبَ الرَّجاءِ على جانبِ الخوفِ:

حالُ الموتِ.

كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل وفاته بثلاث يقول: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله». رواه مسلم.

ولهذا كان بعضُ السلف يأمر بنيه عند الموتِ أن يقرؤوا عليه آياتِ الرحمةِ؛ حتى تخرج روحُه وهو يُحسن الظنَّ بالله تعالى، ويرجو أن يغفر اللهُ له ويرحمه ويتقبله.

عند قنوط البعض من رحمة الله بسبب الذنوب.

ومن الأحوال التي يُغَلَّب فيها جانبُ الخوفِ على جانبِ الرَّجاء:

1. عند شدَّة التَّرفِ.
2. عند المعصيةِ.
3. عند الأمنِ من مكر اللهِ وعذابه.

الخوفُ والرَّغبةُ والرَّجاءُ من أنواع العبادة المُقرِّبة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالخوف من الله يحمل العبدَ على الابتعاد عن المعاصي والنواهي، والرَّغبةُ والطمعُ في جنَّته يُحفِّزه على العمل الصالح، وكلِّ ما يُرضي اللهَ تعالى؛ لذا أمر اللهُ تعالى بهذه العباداتِ في السَّيرِ إليه سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

كما امتدح اللهُ أنبياءَه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، أي: راغبين في جنَّته، وخائفين من عذابه.

كما جمع الله تعالى بين التحذيرِ والتبشيرِ، والخوفِ والرَّجاءِ، فقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

كما بيَّن حالَ رسولِهِ الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

وما زال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ باللهِ من النارِ، آمرًا بذلك كلَّ مسلمٍ في كلِّ صلاةٍ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ». أخرجه مسلم.

بل أوصى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّ المسلمين بعدَ كلِّ أذانٍ أن يسألوا اللهَ له الوسيلةَ، وهي منزلةٌ في الجنةِ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». أخرجه مسلم.

ومازال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه يسأل اللهَ الجنَّةَ وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ، ويستعيذ باللهِ من النارِ، وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ، كما توافرت نصوصُ القرآنِ بالترغيبِ في الجنةِ، والتخويفِ من النارِ.

موقف الصوفية من الخوف والرجاء:

أما الصوفيةُ فإنهم يعبدون اللهَ بالحبِّ فقط، وخالفوا هذه النصوصَ الصريحةَ في دعوتهم إلى أن تكون عبادةُ اللهِ لا خوفَ فيها من النّارِ، ولا طمعَ فيها في الجنةِ، بل يجعلون ذلك من الشِّركِ باللهِ تعالى، ويجعلون قائدَهُم في ذلك قولَ رابعةَ العدويةِ: «اللهم إن كنتُ أعبدُكَ طمعًا في جنَّتك فاحرِمْني منها، وإن كنتُ أعبدُكَ خوفًا من نارك فاحرقْني فيها»!!

وهذا بلوغُ المنتهى في السَّفَهِ!! أن تُترَكَ هذه الجمْلةُ الكبيرةُ من النُّصوصِ القُرآنيةِ والنَّبويةِ لتلك المقالةِ المخالفةِ صريحًا للنصوصِ، أعاذنا اللهُ من الخزيِ والسُّوءِ.



نشاط

١ الرجاءُ والخوفُ مقامان عظيمان من مقاماتِ العبوديةِ، تحدَّثْ عنهما، وما موقفُ المؤمنِ منهما؟

....

....

....

....

٢ من خلال الدراسة اكتب بحثًا موسعًا في طريقة الصوفية في عبادةِ الله تعالى، والردِّ عليهم.

....

....

....

....

٣ من غير ما مرَّ عليك، اذكر نصوصًا من الكتابِ والسُّنةِ تجمع بين الخوف والرجاء.

....

....

....

....

المحَبَّــة

قُرَّة عينِ المحبِّ ولذتُه ونعيمُ روحِهِ في طاعةِ محبوبِهِ؛ بخلافِ المطيعِ كُرْهًا، المتحملِ للخدمةِ ثِقَلًا، الذي يرى أنه لولا ذلُّ قهرِهِ وعقوبةُ سيدِهِ له لما أطاعَه، فهو يتحمل طاعتَه كالمكرَه الذي أذلَّه مُكرِهُهُ وقاهرُه. وأما المحبُّ الذي يعُدُّ طاعةَ محبوبِهِ قُوتًا ونعيمًا ولذةً وسرورًا، فهذا هو الذي يعمل بدونِ توانٍ ولا كللٍ، ويسعدُ في دنياه وأُخراه.

المحبَّةُ في اللُّغة: ميلُ القلبِ للشيءِ ولزومُه وهيجانه إليه.

وفي الاصطلاح: ميلُ شغافِ القلبِ إلى اللهِ تعالى، وإيثارُهُ على غيرِهِ.

حكمُ محبَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ:

محبةُ العبدِ لربه فريضةٌ شرعيةٌ على كلِّ أحدٍ، لا يتركها إلَّا ظالمٌ لنفسه، جاهلٌ، محرومٌ.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

فتوعَّدهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ على تفضيلِ محبَّتِهم لغيره على محبتِهِ ومحبةِ رسولِهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والوعيدُ لا يقعُ إلا على واجبٍ.

وعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمنُ أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والدِهِ وولده والناسِ أجمعين**» متفق عليه.

قال ابنُ رجب: «ومعلومٌ أن محبَّة الرسولِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما هي تابعةٌ لمحبةِ الله جَلَّوَعَلَا، فإنَّ الرسولَ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما يُحَبُّ موافقةً لمحبةِ اللهِ له، ولأمرِ اللهِ بمحبتِهِ وطاعتِهِ واتِّباعِهِ، فإذا كان لا يحصل الإيمانُ إلا بتقديمِ محبةِ الرسولِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على الأنفسِ والأولادِ والآباءِ والخلقِ كلِّهم، فما الظنُّ بمحبةِ الله عَزَّوَجَلَّ؟!».

أسبابُ محبَّةِ اللّهِ للعبدِ، ومحبةِ العبدِ للّهِ تعالى:

ذكر ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الأسبابَ الجالبةَ لمحبةِ اللهِ لعبدِهِ ومحبةِ العبدِ لربهِ عشرةٌ:

الأول: قراءةُ القرآنِ بالتدبُّر لمعانيهِ وما أُريد به.

الثاني: التقرُّبُ إلى الله تعالى بالنوافلِ بعدَ الفرائضِ كما في الحديثِ القدسيِّ: «ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أحبَّه». رواه البخاري.

الثالثُ: دوامُ ذكرِهِ على كلِّ حالٍ باللسانِ والقلبِ والعملِ والحالِ، فنصيبُه من المحبَّةِ على قدر هذا.

الرَّابعُ: إيثارُ محابِّه على محابِّك عند غلباتِ الهوى.

الخامسُ: مطالعةُ القلبِ لأسمائهِ وصفاتهِ ومشاهدتُها، وتقلُّبُه في رياضِ هذه المعرفةِ وميادِينها.

السَّادسُ: مشاهدةُ بِرِّه وإحسانهِ ونعمِهِ الظاهرةِ والباطنةِ.

السابعُ: وهو أعجبُها: انكسارُ القلبِ بين يديهِ.

الثامنُ: الخلوةُ به وقتَ النزولِ الإلهيِّ آخرَ الليل وتلاوةُ كتابهِ، ثم خَتْمُ ذلك بالاستغفارِ والتَّوْبةِ.

التاسعُ: مجالسةُ المحبِّين الصادقين والتقاطُ أطايبِ ثمراتِ كلامِهِم، ولا تتكلم إلَّا إذا ترجَّحت مصلحةُ الكلامِ، وعلمت أنَّ فيه مزيدًا لحالك ومنفعةً لغيرك.

العاشر: مباعدةُ كلِّ سببٍ يحولُ بين القلبِ وبين اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم: «فمن هذه الأسْبابِ العَشَرةِ وصل المحبُّون إلى منازلِ المحبَّة ودخلوا على الحبيبِ».

كما أن من علاماتِ محبَّةِ العبدِ للّهِ تعالى:

محبةُ كلامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

عن عبدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من كان يحبُّ أن يعلم أنه يحبُّ الله عَزَّوَجَلَّ فليعرِضْ نفسَه على القُرآنِ، فإن أحبَّ القرآنَ فهو يحبُّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، فإنما القرآنُ كلامُ الله عَزَّوَجَلَّ».

وقال سفيانُ بن عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللهِ لا تبلغوا ذُروةَ هذا الأمرِ حتى لا يكونَ شيءٌ أحبَّ إليكم من اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ومن أحبَّ القرآنَ فقد أحبَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ».

ثمراتُ محبَّةِ اللّهِ تعالى

١ حصولُه على محبّةِ الله سبحانه.

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثَ رجُلًا على سَرِيَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته،

فَيَخْتِمُ بسورةِ الإخلاصِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فسألوه. فقال: لأنها صفةُ الرَّحمنِ، وأنا أحبُّ أن أقرأَ بها.

فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ». متفق عليه.

٢ حصولُه على محبّةِ الملائكةِ وأهلِ السماءِ والأرضِ.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أحبَّ اللهُ تعالى العبدَ، نادى جبريلَ: إن اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبَّه، فيحبُّه جبريلُ، فينادي في أهلِ السَّماءِ إن اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماءِ، ثم يوضعُ له القبولُ في الأرضِ». متفق عليه.

٣ حصولُه على حلاوةِ الإيمانِ.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». رواه البخاري ومسلم.

٤ النَّجاةُ من النارِ.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فالعذابُ على من لا يحبُّ اللهَ تعالى، أمَّا المؤمنون فقد آثروا محبَّةَ اللهِ على محبَّةِ ما سواه، ففازوا بالنَّجاةِ من العذابِ.

نشاط

١ بيِّن حُكمَ المحبة، مستدلًا بالكتابِ والسُّنةِ؟

....

....

٢ مرَّت عليك الأسبابُ الجالبةُ لمحبَّة اللهِ للعبدِ، اذكر أسبابًا من عندك توجب تلك المحبَّةَ.

....

....

٣ من واقع دراستك لبابِ المحبَّة، اذكر أهمَّ ما يستفادُ من هذا الحديثِ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ»؟

....

....

الصَّبْـــر

المؤمنُ بين صبرٍ على أمرٍ يجبُ عليه امتثالُه وتنفيذُه، وصبرٍ عن نهيٍ يجب عليه اجتنابُه وتركُه، وصبرٍ على قَدَرٍ يجْري عليه.

وإذا كانت هذه الأحوالُ لا تفارقُه؛ فالصبرُ لازمٌ إلى المماتِ، وهو من عزائمِ الأمورِ، فالحياةُ إذن لا تستقيمُ إلَّا به، فهو الدَّواءُ الناجِعُ لكلِّ داءٍ.

الصَّبر في اللُّغة: الحبْسُ، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨] يعني: احبس نفسك معهم.

وفي الاصْطلاح: حبسُ النفسِ عن محابِّها وهواها، وكفُّها عن الجَزَعِ، وحبْسُها على معالي الأمورِ.

حكمُ الصبرِ:

الصبرُ واجبٌ بإجماعِ الأمة. فقد أمر الله تعالى به في أكثر من موضعٍ من كتابهِ العزيزِ، فقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقد ورد الصبرُ في القرآنِ كثيرًا، وبصيغٍ مختلفةٍ:

الأول: الثناءُ على الصابرين، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الثاني: إيجابُه سبحانه محبتَهُ للصَّابرين، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

الثالث: إيجابُ معيَّتِهِ للصَّابرين، وهي معيَّةٌ خاصَّة، تتضمنُ حفظَهم ونصرَهم وتأييدَهم. كقوله: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

الرابع: إيجابُ الجزاءِ لهم بأحسنِ أعمالِهم. كقوله: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

الخامس: ضمانُ النَّصرِ والمددِ لهم. كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «واعلمْ أنَّ النَّصْرَ مع الصَّبرِ». أخرجه أحمد، وصححه الألباني.

السادس: الإخبارُ بأن الفوزَ المطلوبَ المحبوبَ، والنَّجاةَ من المكرُوهِ المرهُوبِ، ودخولَ الجنةِ، إنما نالوه بالصَّبر. كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

السابع: الإخبارُ أنه إنما ينتفعُ بالآياتِ والعِبَرِ أهلُ الصبرِ. كقوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [إبراهيم: ٥].

الثامن: أنه يورثُ صاحبَهُ دَرَجةَ الإمامةِ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «بالصبرِ واليقينِ تُنال الإمامةُ في الدِّين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]».

منزلةُ الصَّبرِ:

منزلةُ الصَّبر من الإيمانِ بمنزلةِ الرَّأسِ من الجسدِ، ولا إيمانَ لمن لا صبرَ له، كما أنه لا جسدَ لمن لا رأسَ له.

ففي صحيح مسلم أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عجبًا لأمرِ المؤمنِ! إن أمرَه كلَّه له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمُؤْمنِ، إن أصابته سرَّاءُ شكَرَ، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبرَ، فكان خيرًا له، وليس ذلك إلَّا للمؤمنِ».

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمَرْأةِ السَّوْداءِ التي كانت تُصرعُ، فسألته أن يدعو لها، فقال: «إن شئتِ صبرتِ ولك الجنةُ، وإن شِئْتِ دعوتُ اللهَ أن يعافيَك، فقالت: أصبرُ، ثم قالت: إني أتكشفُ فادعُ اللهَ ألَّا أتكشَّفَ. فدَعَا لها». أخرجه البخاري ومسلم.

قال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خيرُ عَيْشٍ أدركناه بالصَّبرِ».

أنواعُ الصَّبرِ:

١ **الأول:** الصبرُ على ذكرِ اللهِ وطاعتهِ والدعوةِ إليه، والثباتِ على دينه، والجهادِ في سبيله، وعلى طلبِ الهدى والعلمِ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

٢ **الثاني: الصَّبرُ عن المعاصي.** بمعنى أن تحبسَ نفسَك عن فعلِ المحرَّم حتى مع وجودِ السَّببِ. مثل ما وقع ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مع امرأةِ العزيزِ، فإن امرأةَ العزيزِ دعته إلى نفسِها - في حالٍ هي أقوى ما يكون للإجابةِ؛ لأنها غلَّقت الأبوابَ وقالت: هيْتَ لك، أي: تدعوه إلى نفسِها، فقال: «إنه ربي - أي: سيدي - أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون»، يعني فإن خنتُه في أهله فأنا ظالمٌ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف: ٢٤]، فلم يفعل مع قوة الدَّاعي و انتفاء الموانع، فهذا صبرٌ عن معصية الله تعالى.

وفي الصحيحين في حديث السبعةِ الذين يظلُّهم الله في ظله، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، وذكر منهم: «رجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ و جَمَالٍ فقال: إني أخافُ اللهَ».

٣ **الثالث: الصَّبرُ على المصائبِ والأقْدارِ.** واللهُ تعالى يثيبُ على ذلك بالتَّعْويضِ والثَّناءِ والرَّحْمةِ والهِدايةِ، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ومن وصيةِ لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ الله: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلَّا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْرًا مِنْهَا».

قالت: «فلما مات أبو سلمة قلتُ: أَيُّ المسلمين خيرٌ من أبي سلمةَ؟... ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». رواه مسلم.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى». متفق عليه.

ثمراتُ الصَّبرِ

١
العطاءُ والخيرُ الواسعُ الذي لا أفضلَ منه. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ مِنَ الصَّبرِ». متفق عليه.

٢
الصبرُ ضياءٌ. عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ». رواه مسلم.

ولذا عندما تحدَّث اللهُ تعالى عن أهمِّ الآياتِ الدنيويةِ في سور إبراهيم ولقمان وسبأ والشورى؛ ختمها بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: لا يرى هذه الآياتِ، ولا يستنيرُ بنورِها، إلَّا أهلُ الصَّبرِ والشُّكرِ.

٣
الفلاحُ والنصرُ ونيلُ المطلوبِ. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ». تقدم.

٤
نيلُ محبَّةِ اللهِ سبحانه. فقد علَّق الله تعالى محبَّته بالصَّبرِ، وجعلها لأهلِ الصبرِ، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٥

المغفرةُ ومُضاعفةُ الأجرِ. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٦

الجنةُ وبيتُ الحمدِ. فإنَّ اللهَ تعالى يجازي المؤمنين بالجنَّةِ على صَبْرِهم، كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

وقد كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمرُّ على ياسر وسمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهما يُعذَّبان من كفارِ قريشٍ، فيقول لهما: «صَبْرًا يا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ». رواه الحاكم وصححه الألباني.

وفي الصبرِ على المصائبِ يقول الرسولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّة». رواه البخاري.

وفي حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيمن فَقَدَ ولدَه فصبر، فَيَقُولُ الله تعالى: «ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ». رواه الترمذي، وحسنه.

نشاط

١ من واقع فهمِك لموضوعِ الصَّبرِ، لِمَ كان الصبرُ أوسعَ ما أُعطِيَ العبدُ؟

٢ كيف تفهم مقامَ الصبر في ظِلِّ هذه الآيةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؟

٣ اشرحْ هذا الحديثَ: «إنما الصَّبرُ عندَ الصَّدْمةِ الأولى» وما أثرُهُ على إيمانِ العبدِ؟

الشُّــكْر

لما كان الإيمانُ نصفين: نصفٌ شكرٌ ونصفٌ صبرٌ، كان حقيقًا على من نصح نفسَه وأحبَّ نجاتَها، وآثر سعادتَها ألَّا يُهمِلَ هذينِ الأصلينِ، ولا يعدلَ عن هذين الطريقينِ القاصدينِ، وأن يجعلَ سيرَه إلى اللهِ بين هذين الطريقين، ليجعله اللهُ يومَ لقائهِ من خيرِ الفريقينِ.

الشُّكرُ في اللغةِ: خلافُ الكفرانِ، وهو الاعترافُ بالإحسانِ ونشرُهُ.

وفي الاصطلاح: معرفةُ الإحسان، والتحدُّثُ به.

فالشُّكرُ: عكوفُ القلبِ على محبَّةِ المنعِمِ، والجوارحِ على طاعتهِ، وجريانُ اللِّسان بذكرِهِ والثناءِ عليه.

قال ابن القيم: «من عرف النعمةَ، وعرف المنعِمَ بها، وأقرَّ بها وخضعَ للمنعِمِ بها، وأحبَّه ورضي به وعنه، واستعملها في محابِّه وطاعتهِ، فهذا هو الشَّاكرُ لها».

وكمثال على ذلك: الصلاةُ، فإنها جامعةٌ لأنواعِ الشُّكرِ الثلاثةِ، فهي:

- شكرٌ بالقلبِ لما تتضمَّنه من الإخلاصِ والخشوعِ.
- وشكرٌ باللسانِ لما تتضمنه من قراءةٍ للقرآنِ وذكرٍ للرحمنِ.
- وشكرٌ بالجوارحِ لما تتضمَّنه من سُجُودٍ وركوعٍ وتسليمٍ.

الفرقُ بين الحمدِ والشُّكرِ:

- أنَّ الحمدَ يختصُّ باللسانِ، بخلافِ الشكر، فهو باللسانِ والقلبِ والجوارحِ. كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].
- أن الحمدَ يكون في مقابلِ نعمةٍ، ويكون بدونها، بخلافِ الشكرِ فإنه لا يكون إلا في مقابلِ نعمةٍ.

ما يتضمنه الشُّكر: يتضمن الشكرُ ثلاثةَ أشياءٍ:

١ معرفةُ أن النعمة من الله.

٢ الرضا بذلك،

كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد أفلحَ من أسلمَ ورُزِق كفافًا وقنَّعه اللهُ بما آتاه**». رواه مسلم.

٣ الثناء على الله،

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١].

وذلك بأن تَذْكُرَ النِّعَمَ التي أنعم اللهُ بها عليك، ويُرى أثرُها عليك، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا قَشِفُ الهيئةِ، فقال: هَلْ لَكَ مَالٌ؟ قُلْتُ: نعم. قال: مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟ قُلْتُ: من كلِّ المالِ؛ من الإبل، والرقيق، والخيل، والغنم. فقال: «**إِذَا آتَاكَ الله مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ**». رواه أحمد والنسائي والترمذي، وصححه الألباني.

حكمُ الشُّكرِ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجب أن يُشكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عقلًا وشرعًا وفطرةً، فوجوبُ شكرِه أظهرُ من وجوبِ كلِّ واجبٍ، وكيف لا يجب على العباد حمدُه وتوحيدُه ومحبتُه وذكرُ آلائه وإحسانه وتعظيمُه وتكبيرُه والخضوعُ له والتحدُّثُ بنعمتهِ، والإقرارُ بها بجميع طرقِ الوجوبِ؟! فالشُّكرُ أحبُّ شيءٍ إليه وأعظمُ ثوابًا، وله خلقَ الخلْقَ وأنزل الكتبَ وشرع الشرائعَ، وذلك يستلزم خلْقَ الأسبابِ التي يكون الشكرُ بها أكملَ».

فالشُّكرُ من أوجبِ الواجباتِ على المسلم، فعليه أن يعرفَه، ويتأملَه، ويحقِّقَ معانيَه في نفسه. قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في شكرِه وشكرِ الوالدين: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقال تعالى في شكرِهِ على النِّعَمِ: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٣٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شكرِه على الهُدَى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وبيَّن أن العبادةَ مُتَرَتِّبةٌ على الشُّكرِ، فمن كان شاكرًا فهو عابدٌ للهِ، ومن لم يكن كذلك فليس بعابدٍ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

حكم الكفر بنعمة الله:

ذم الله تعالى الكفر بنعمته، وبيَّن أنه من أسبابِ عقابِهِ، فقال ذامًّا من يكفر بالنعم حال الابتلاء: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ [هود: ٩].

وذمَّ الكَنودَ -الذي يعُدُّ المصائبَ ويَنْسى النعمَ- فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦].

وذمَّ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساءَ اللَّاتي يكفُرْن العشيرَ، وبيَّن أنهنَّ من أهل النارِ، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُريتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ، يَكْفُرن. قيل: أيَكْفُرن باللهِ؟ قال: يَكْفُرن العشيرَ، ويَكْفُرن الإحسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ، ثم رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رَأَيْتُ منك خَيْرًا قطُّ**». رواه البخاري ومسلم.



حكمُ شكرِ الناسِ:

لقد أمرت شريعتُنا الإسلاميةُ بشكر الناسِ على إحسانهم وفضائلهم علينا، ومن أخصِّ من أُمِرنا بشكرِه الوالدان، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

كما أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكر كلِّ من أسدى إليك معروفًا، ففي حديث جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ». رواه أبو داود، وحسنه الألباني.

وقد قُرِنَ شكرُ اللهِ بشكرِ الناسِ، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لاَ يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ» رواه أبو داود وصححه الألباني.

ومعنى الحديثِ: أن من كان من طبعِهِ وعادتِهِ كفرُ وجحدُ معروفِ الناسِ؛ فسيكون من طبعه كَفْرُ خالقِ الناس.



الأسبابُ المُعينةُ على الشُّكرِ

تذكُّر نعَمِ اللهِ تعالى.

قال الشَّوكاني: «ذكرُ النعمةِ سببٌ باعثٌ على شُكْرِها»، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

قال الغزالي: «ومن لا يؤمنُ بأن ثوابَ المصيبةِ أكبرُ من المصيبةِ لم يُتَصوَّرْ منه الشُّكرُ على المُصيبةِ».



النظرُ إلى من هو دونك.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ». أخرجه مسلم.

علمُ العبدِ أنه مسؤولٌ عن النِّعمِ.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

وقد أخطأ الناسُ في فهم هذه المسألة، فحرَّموا على أنفسِهم النِّعَمَ؛ لئلا يُسألوا عنها يومَ القيامةِ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد رضِيَ لنا أن نستمتعَ بها، لكنه أمرنا بشكرِها، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

معرفة أن الله يحبُّ الشَّاكِرين.

قال قتادة: «إن ربَّكم منعِمٌ يحبُّ الشكرَ».

دعاءُ اللهِ أن يُعينَنا على الشُّكرِ.

كما أمر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذَ بنَ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدعُوَ دُبرَ كلِّ صلاة بقوله: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكرِكَ، وَشُكرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». رواه أبو داود وصححه الألباني.

ثمراتُ الشكر

1

رضا الله سبحانه. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا». رواه مسلم.

2

النجاةُ من عذابه. فقد بَيَّنَ الله في كتابه أنه لا غرضَ له من عذابِ الخلقِ إذا شكروا وآمنوا به، فقال: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

3

بقاء النعمة وزيادتها. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] فالنِّعَمُ تزيدُ بالشكرِ، وتحفظُ من الزَّوالِ.

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «قيِّدوا نعمَ اللهِ بشكرِ اللهِ»؛ ولذلك كان بعضُ العلماءِ يُسمي الشُّكرَ بـ(قيد النِّعَم).

الصَّبرُ والشُّكر:

في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] يقول الحسن: «يُكابِدُ الشكرَ على السَّراء، ويكابد الصبرَ على الضَّرَّاء».

وقال بعض السلف: «الإيمانُ نصفانِ: نصفٌ شكر، ونصفٌ صبر».

قال ابن القيم: «ولما كان الإيمان نصفين: نصفٌ شكر ونصفٌ صبر، كان حقيقًا على من نصح نفسَه وأحبَّ نجاتها وآثر سعادتَها ألّا يهمِلَ هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدلَ عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين ليجعله الله يوم لقائه في خيرِ الفريقينِ».

قال مطرف بن عبد الله: «لأن أُعافى فأشكرَ أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبرَ».

والنبيُّ ﷺ أوصى بأن نسأل اللهَ العفوَ والعافيةَ، ولم يوصِ بسؤالِ المصيبةِ؛ فإذا ما وقع البلاءُ فربما وصل المُبتلى إلى أجرٍ أكبرَ من أجرِ الشّاكرين.

نشاط

١ كيف تحقّق الشكر من خلالِ هذه العبادات: (الصوم - الزكاة - الحجّ)؟

....

٢ بين الشكرِ والصبرِ يسيرُ العبدُ، بيِّن كيف يكونُ المؤمن بين هذين المقامين؟

....

٣ ما الآدابُ التي تتعلمها من هذا الحديث: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» رواه مسلم؟

....

الوَرَعُ

الوَرَعُ أصلُ الدِّين، وأصلُ الطاعةِ، وهو دليلٌ على صلاحِ العبْدِ، وقد كان السلفُ الصالحُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى يتعلمون الوَرَعَ تعلمًا، وهو مهمٌّ في عصرِنا هذا الذي كثرت فيه الرشوةُ وأكلُ الحرام والوقوعُ في المحرماتِ، وحتى يتربَّى جيلُنا على النزاهةِ والتقوى.

الورع لغة: التحرُّج. يُقال: تَوَرَّع عن كذا: أي: تَحَرَّجَ.

وأصلُ الورعِ: الكفُّ عن الحرامِ، ثم استعير للكفِّ عن المباحِ والحلالِ.

وفي الاصطلاح: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو تركُ ما يُخشى ضررُه في الآخرةِ».

وقيل: «هو تركُ ما لا بأسَ به خشيةَ الوقوعِ فيما فيه بأس».

وقال الجُرْجَانيُّ: «هو اجتنابُ الشُّبُهات خوفًا من الوقوعِ في المُحرَّمات».

وقال القِرَافِيُّ: «الورع تركُ ما لا بأسَ به حذرًا مما به البأس».

وأصل هذا الباب جملة من الأحاديث:

١ عن عطية بن عروة السَّعْدِيِّ الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يَبْلُغُ العَبْدُ أن يكون من المتقين حتى يَدَعَ ما لا بأس به حذرًا لِمَا به بَأْسٌ»** رواه الترمذي وحسنه.

٢ ما أخرجه أحمد والنسائي وصححه الألباني، من حديث الحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دعْ ما يريبُك إلى ما لا يريبُك»**.

٣

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الحَلالَ بَيِّنٌ وَالحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَهُ... الحديث**». متفق عليه.

٤

ولقد جمع النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الورعَ كلَّه في كلمةٍ واحدةٍ، فقال: «**من حُسْنِ إِسْلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يُعنيهِ**» رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

فالتَّرْكُ هنا يعمُّ ما لا يعني من الكلامِ والنظرِ والاستماعِ والبطْشِ والمشْيِ والفِكْرِ، وسائرِ الحركاتِ الظاهرةِ والباطنةِ.

أهميةُ الورعِ

الورعُ شرطُ الإيمانِ وثمرتُهُ ودليلُ صلاحِ العبدِ.

قال طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ: «مثل الإيمان كشجرةٍ؛ فأصلها الشهادةُ، وثمرها الورعُ، ولا خيرَ في شجرةٍ لا ثمرَ لها، ولا خيرَ في إنسانٍ لا ورعَ له».

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا تنظروا إلى صلاةِ أحدٍ ولا صيامِهِ، وانظروا إلى صدقِ حديثِهِ إذا حدَّث، وإلى أمانتِهِ إذا ائتُمِن، وإلى ورعِهِ إذا أشفى». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ الدِّينَ ليس بالطنْطنةِ من آخرِ الليلِ، ولكنَّ الدِّينَ الوَرَعُ».

وقال مطرِّف بنُ عبد الله بن الشِّخِّير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنك لتلقى الرَّجُلين أحدُهما أكثرُ صومًا وصلاةً وصدقةً، والآخرُ أفضلُ منه بونًا بعيدًا. قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: هو أشدُّهما وَرَعًا للهِ عن محارمِهِ».

وقال رجلٌ لأبي عبد الرحمن العمري: عِظْني. فأخذ حصاةً من الأرضِ، فقال: «مثل هذا ورعٌ يدخل في قلبك خيرٌ لك من صلاةِ أهلِ الأرضِ».

ولذلك فإن العلماءَ جعلوا التورُّعَ شرطًا في القاضي الذي يقضي بين الناسِ؛ لأن القضاءَ من أعلى الوظائفِ والمراتبِ الدنيويةِ، وهو محل الفصل بين المتنازعين في مسائل الأموال والفروج ونحوها، فاشترطوا لهذه المرتبة العلية أن يكون صاحبها ورعا.

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليك بالورع يخفِّفُ الله من حسابك، ودعْ ما يريبُك إلى ما لا يريبُك، وادفعْ الشكَّ باليقين يسلم لك دينُك».

ولقد كان سفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديدَ الورعِ، حتى قال قتيبةُ بنُ سعيدٍ: «لولا سفيانُ الثوريُّ لضاع الورعُ».

وقال موسى بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيتُ سفيانَ الثوريَّ في المنامِ في الجنة، يطير من نخلةٍ إلى نخلةٍ، ومن شجرةٍ إلى شجرةٍ، فقلت: يا أبا عبد الله، بم نلتَ هذا؟ قال: بالورعِ، بالورعِ».

ورَعُ الصِّدِّيق

لقد ضرب أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خير مثالٍ للورعِ، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كان لأبي بكرٍ غلام يُخْرِج له الخَرَاج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ قال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهَّنتُ لإنسانٍ في الجاهلية، وما أُحسِنُ الكهانةَ إلا أني خدعتُه، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبو بكر يدَه فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنِهِ.

الورعُ خيرُ معينٍ على عبادة الله:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ**». رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

وقال سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبادةُ: الورعُ عمَّا حرَّم اللهُ، والتفكُّر في أمرِ اللهِ».

الفرقُ بينَ الزُّهدِ والورعِ:

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لرياض الصالحين: «إن الزهد أعلى من الورع، فالورعُ تركُ ما يضرُّ، والزهد ترك ما لا ينفعُ، فالأشياء ثلاثة أقسامٍ: منها ما يضرُّ في الآخرة، ومنها ما ينفع، ومنها ما لا يضرُّ ولا ينفعُ.

فالورع: أن يدع الإنسانُ ما يضرُّه في الآخرةِ، يعني أن يترك الحرامَ.

والزهدُ: أن يدعَ ما لا ينفعُه في الآخرةِ». انتهى. فهو لا يضرُّه، لكن لا ينفعُهُ في الآخرةِ، فالزهدُ تركُهُ.

خطورةُ عدمِ الورعِ:

أخرج ابن ماجه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لأعلمنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يومَ القيامةِ بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تهامةَ بيضًا، فيجعلُها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هباءً منثورًا**» قال ثوبانُ يا رسولَ اللهِ صِفْهم لنا جَلِّهم لنا؛ ألَّا نكونَ منهم ونحنُ لا نعلمُ!

قال: «**أما إنهم إخوانُكم ومن جِلْدتِكُم، ويأخذون من الليلِ كما تأخذون، ولكنَّهم أقوامٌ إذا خَلَوْا بمحارمِ اللهِ انتهكُوها**». أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني.

وفي صحيح مسلم أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الرَّجُلَ يطيلُ السَّفرَ، أشعثَ أغبَرَ، يمدُّ يدَيه إلى السماءِ، يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُه حرامٌ، ومشربُه حرامٌ، وملبَسُه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرام. فأنَّى يُستجابُ لذلك ؟!

اقترانُ العلم بالورع:

قال أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن التورُّع عن محارمه سبحانه موقوفٌ على معرفةِ الحلالِ والحرامِ، المنوط بالكتاب والسنة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجاهِلِ: «قد يدَعُ واجباتٍ ويفعلُ محرماتٍ، ويرى ذلك من الورعِ».



من قصص الورع

١ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا». متفق عليه.

٢ وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أخذ الحسن بن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا تمرةً من تمر الصدقة، فجعلها في فِيه، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَخْ، كَخْ؛ لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ». متفق عليه.

٣ ورع زينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في حادثة الإفك. قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ؟ مَا رَأَيْتِ؟.

فقالت: يا رسولَ اللهِ، أحمي سمعي وبصري، واللهِ ما علمتُ عليها إلَّا خيرًا. قالت: وهي التي كانت تسامِيني، فعصَمَها اللهُ بالورعِ. متفق عليه.

أسبابُ الوصول لمرتبةِ الورعِ

المحافظةُ على السُّنة وتركُ الابتداع. قال الأَوْزَاعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد كنا نتحدث: أنه ما ابتدع رجل بدعةً إلَّا سُلِبَ ورعُه».

العملُ بالعلمِ. قال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا عمل المؤمنُ بالعلم دلَّه على الورعِ، فإذا تورَّع صار قلبُه مع اللهِ».

الابتعادُ عن المحرمات. قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اجتنِبْ ما حُرِّم عليك تكن من أوْرِعِ الناسِ».

الزهدُ في الدُّنيا. قال سفيانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيتُ وَرِعًا قطُّ إلا محتاجًا». فمن لم يزهد في الدُّنيا لم يصبر على الورعِ.

الابتعادُ عما يمنعُ من الورعِ: مثل كثرةِ الأكلِ، والانغماسِ في الشهواتِ، والطمعِ، وكثرةِ الكلام والجدالِ، والاشتغالِ بمعايب الآخرين، وتضييعِ الأوقات، وقلةِ الحياء، وقد جُمِعَت في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنيه**». رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.


نشاط

١ من واقع ما درست بيِّن خطورةَ تركِ الورعِ، واقرن ذلك بالدليل.

....

....

....

....

٢ ما أعظمَ هذه العبارةَ: (ولكنَّ الدِّين الورعُ)!! بفهمك الخاص، اكتب عن دلالة الورع على ديانة العبد.

....

....

....

....

٣ بيِّن بالأمثلة الفرقَ بين الورعِ والزهدِ.

....

....

....

....

الرِّضَــا

الرضا عملٌ قلبيٌّ من أرفع أعمالِ القلوبِ وأعظمِها شأنًا، والتي قد يبلغ بها منزلةً تسبقُ منازلَ من أتعب بدنَه وجوارحَه، دون رضا تام.

الرِّضا في اللغة: خلافُ السُّخْطِ، وهو سكونُ النفسِ إلى الشيءِ، والارتياحُ إليه.

والرِّضْوان: هو الرِّضا الكثيرُ، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١].

والرضا في الاصطلاح: عدمُ الجزع في أيِّ حكمٍ من الله تعالى.

درجاتُ الرضا:

تتفاوت درجاتُ الرضا القلبي بحسَبِ قوةِ إيمانِ العبدِ، وبحسَبِ الأمر الذي دخله الرضا من العبدِ. قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**» رواه مسلم.

وجوبُ الرضا عن اللهِ، والرضا بالقضاءِ والقدرِ:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ: «أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على أنَّ السُّنة التي تُوفِّيَ عليها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أولها الرضا بقضاء الله تعالى، والتسليمُ لأمره، والصبرُ تحت حكمِهِ».

قال إسحاق رَحِمَهُٱللَّهُ: «حضرت رجلًا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل وهو يسأله، فجعل الرجل يقول: يا أبا عبد الله، رأسُ الأمر وجماعُ المسلم على الإيمان بالقدر خيرِه وشرِّه، حُلوِه ومرِّه، والتسليم لأمر اللهِ، والرضا بقضاءِ اللهِ؟ قال أبو عبد الله: نعم».

فمن الرِّضا بالله ربًا:

أن تسخط عبادة ما دون الله تعالى. وهذا قُطْبُ رَحى الإسلامِ، قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ١٤].

الحبُّ في الله، والبغضُ في الله. فمحبَّةُ العلماء من الرِّضا باللهِ ربًّا، ومحبةُ الصالحين والزُّهَّاد من الرِّضا باللهِ ربًّا، ومحبةُ القائمين على الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ من الرِّضا باللهِ ربًّا، وبغضُ الفُسَّاق والفُجَّار من الرِّضا بالله ربًّا.

ومن الرِّضا بالإسلام دينًا:

- **أن ترضى بما شرعَهُ اللهُ فيه من أحكامٍ،** قال تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا ﴾ [الأنعام: ١١٤] وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد: ٢٨]. وما أشدَّ كذبَ هؤلاء الذين يقولون: رضينا بالإسلامِ دينًا، ثم هم بعد ذلك يتبعون القوانينَ الوضعيةَ المختلفة، فتراهم يحكمون بالقانون الفرنسيِّ، أو الإنجليزيِّ، أو الإيطاليِّ. فأين الرِّضا بهذا الدِّين؟!.
- **موالاة المسلمين، ومعاداة الكافرين.**

من أشكالِ عدمِ الرضا بالإسلامِ:

- الرضا بأحوالِ أهل الكفر، ومعتقداتهم، وعاداتهم، وأن يحبَّ نقلها إلى بلادِ الإسلامِ، من التعرِّي، والاختلاط، وأشكال الفساد.
- الدعوةُ إلى العلمانيةِ، وفصلِ الدِّينِ عن الدولةِ.

ومن الرِّضا بمحمدٍ ﷺ نبيًّا:

- أن يكون أحبَّ إليك من نفسِك، وزوجِك، وأبيك، وأمِّك، وأبنائك، وأصدقائك، وأقاربك، وأن تفديَهُ برُوحِك وجسدِك.

- أن تحبَّ معرفةَ سيرته، ويكون همُّك التأدبَ بآدابِهِ، والتحلِّيَ بأخلاقه والتأسِّيَ به، وتتمنى أن تكون معه في الجنةِ يوم القيامة.

- الرِّضا بحكمه؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩].

- الوقوفُ عند سُنتهِ، وعدمُ الاجتراءِ عليه بابتداعِ أمورٍ ما أنزل الله بها من سلطانٍ.

فابتداعُ الموالدِ، وأنواعِ الأذكارِ والأورادِ، وطُرُقِها، وأنواعِ العبادات، ليس من الرِّضا به نبيًّا ﷺ.

الرضا بالقضاء: والمراد به: التسليمُ وسكونُ القلب وطمأنينتُه لقضاءِ اللهِ تعالى، إذ كلُّه عدلٌ وخيرٌ وحكمةٌ.

أمورٌ لا تنافي الرِّضا بالقضاء:

- **الإحساسُ بالألم والمكارِه.** فمقامُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرفعُ المقاماتِ في الرِّضا بقضاءِ اللهِ تعالى، ومع ذلك فقد بكى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين مات ابنُه إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال: «إن العينَ تدمعُ، وإن القلبَ يحزُن، ولا نقولُ إلا ما يرضي ربَّنا، وإنا عليك يا إبراهيمُ لمحزونون». متفق عليه.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «ظهورُ الحزنِ على الإنسانِ إذا أصيبَ بمصيبةٍ لا يخرجُه عن كونه صابرًا راضيًا إذا كان قلبُهُ مطمئنًّا».

- **الإخبارُ بما تجده من البلاءِ، لا عن ضجرٍ وسخطٍ وشكوى.** قال القُرْطُبِيُّ: «جواز الإخبارِ بما يجده الإنسان من الألمِ والأمراضِ، وأن ذلك لا يقدح في الرضا ولا في التسليم للقضاء؛ لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط».

- **دعاءُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أن يرفعَ البلاءَ.** قال تعالى عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وللوصول لمقام الرضا، لا بد من الآتي:

معرفة الله سبحانه واليقين به، ومعرفة أنَّه حكيمٌ في كلِّ أمره وقضائه. قال الفضيل رَحِمَهُ اللهُ: «أحقُّ الناسِ بالرِّضا عن اللهِ أهلُ المعرفةِ بالله تعالى».

وقال الجُنَيْد رَحِمَهُ اللهُ: «الرضا على قدْرِ قوةِ العلم، والرسوخِ في المعرفة».

سُئِل بعض السلف: كيف السبيل إلى مقام الرضا؟ فقال: «علم القلب بأن المولى عدلٌ في قضائه غيرُ متَّهمٍ».

مجاهدةُ النفسِ على الصبرِ، وتوطينُ النفسِ على كلِّ ما يرِدُ عليها من اللهِ تعالى.

قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

ومما يسهّل ذلك معرفةُ أنه لا مفرَّ من الرِّضا، فغيرُ الرَّاضي لا يستفيد شيئًا في دنياه، ولا في أُخراه، بخلافِ الرَّاضي الذي يستفيد الدنيا والآخرة.

وَنُعَوِّدُ الصَّبْـرَ الجَمِيلَ نُفُوسَنَا إِنَّ الرِّضَـا بِقَضَائِـهِ أَوْلَـى لَهَـا

دعاءُ اللهِ تعالى. عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّمه دعاءً، وأمره أن يتعاهدَه ويتعاهدَ به أهلَه كلَّ يومٍ، وفيه: «أَسْأَلُكَ اللهُمَّ الرِّضا بَعْدَ القَضَاءِ». رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

ثمراتُ الرِّضا

١ **بلوغُ مقامِ العبوديةِ والشُّكرِ.** سُئِلَ يحيى بن معاذ: متى يبلغ العبدُ مقامَ الرِّضا؟ فقال: «إذا أقام نفسَه على أربعةِ أصولٍ فيما يُعامِل به ربَّه»، فيقول: «إن أعطيتني قبلتُ، وإن منعَتني رضيتُ، وإن تركتني عَبدتُ، وإن دعوتني أجبْتُ».

وقال ابن عون رَحِمَهُ اللَّهُ: «ارضَ بقضاءِ اللهِ على ما كان من عُسْرٍ ويسْرٍ، فإن ذلك أقلُّ لهمِّك، وأبلغُ فيما تطلبُ من آخرتك».

٢

نيلُ العزةِ وغنى النفسِ. قال الرَّامَهُرْمُزِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أخذ من الدُّنيا شيئًا على طريقِ الاقتصادِ والرِّضا بالقَسْم حَيَا بعزِّ القناعةِ وغنى النفس حياةً طيبةً، ومن طمح بصرُه إلى كل ما يرى من المتاع بها فهو في منْزلةِ البهيمةِ التي تأكل فتمتلئُ، فتديرُه في فمِها، ثم تعاودُ الأكلَ، لا تعرفُ غيرَ هذه الحالِ».

٣

البركةُ في الرزق، والقناعةُ، والفرجُ، وطيبُ العيش، وهوانُ المصائب. قال أحدُ السلف: «إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ الله عَزَّوَجَلَّ لَهُ بَارَكَ الله لَهُ فِيهِ وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ».

قال أكثم بن صَيْفِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من رضي بالقَسْم طابت معيشتُه، ومن قنع بما هو فيه قرَّت عينُه».

فبالرِّضا يكون الخلاصُ من الهمِّ والغمِّ والحزنِ وشتاتِ القلبِ وسوءِ الحال، والريبةِ وعدمِ الاستقرار.

٤

دخولُ الجنةِ. عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعِدْها عليَّ يا رسول الله، ففعل. رواه مسلم.

٥

نيلُ رضا الله، والخلاص من سخط الله. قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا؛ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه أحمد، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَـهُ الرِّضا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». رواه الترمذي، وصححه الألباني.

٦ **غفرانُ الذنوبِ.** عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ». رواه مسلم.

7 **الرِّضا سببٌ للخير كلِّه.** كتب عمرُ بنُ الخطاب لأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أما بعد: فإن الخيرَ كلَّه في الرِّضا، فإن استطعتَ أن ترضى، وإلا فاصبر».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فطريقُ الرِّضا والمحبةِ تُسَيِّر العبدَ وهو مُسْتَلْقٍ على فراشه؛ فيصبح أمامَ الركبِ بمراحل».

نشاط

١ ينال المؤمنُ بالرِّضا فوائدَ عظيمةً في الدنيا. تحدَّثْ عن ذلك.

....

٢ هل حزنُ القلبِ على الميِّتِ يُنافي الرضا؟ استدلَّ لما تقول.

....

٣ الرضا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم مقامات الرضا، بيِّن كيف خالف المبتدعةُ في هذا المقامِ.

....

التَّفكُّر

إن أشرفَ المجالسِ وأعلاها الجلوسُ مع الفكرةِ؛ لذا تنوَّعت الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على وجوبِ التفكر، فما أَلَذَّ هذه المجالسَ! وما أحلاها! وما أطيبَها لمن رُزِقها! ومن ذلك التأملُ في معاني أسماءِ اللهِ وصفاته، والتأملُ في معاني الحكمةِ التي جاء بها النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتفكُّر في أمر الآخرةِ، والتفكُّر فيما ينفع الناسَ في دينهم ودنياهم.

التفكر في اللغة: التأمُّل والنظرُ، وتردُّد القلبِ في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا ردَّد قلبَه معتبرًا.

وفي الاصطلاحِ: جَوَلان العقلِ والقلبِ في الدلائلِ والآياتِ، ومعاني الأشياءِ طلبًا للاستفادةِ.



أنفعُ الفِكْرِ:

والتفكير النافع: هو التفكُّر الذي يوصل العبدَ إلى خيرٍ أو فائدةٍ دنيويةٍ أو أخرويةٍ.

قال ابن القيم: «وأنفع الفكر: الفكر في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد، وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أجلُّ الأفكار، ويليها أربعة: فكر في مصالح الدنيا، وفكر في طرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا، وفكر في طرق الاحتراز منها؛ فعلى هذه الأقسامِ الثمانيةِ دارت أفكارُ العقلاءِ».

من مجالاتِ التفكُّر:

١ التفكُّر في نصوصِ الوَحْيِ والآياتِ والأمثالِ.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

٢ التَفكُّر في الدُّنيا، وسرعةِ زوالها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

٣ التفكُّر في المخلوقات.

قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٦].

وفي صحيح مسلم أن النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قام من آخر الليلِ، فخرج فنظر إلى السماءِ، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١] ثم رجع إلى البيتِ فتسوَّك وتوضَّأ ثم قامَ فصلى ثم اضطجع، ثم تلا هذه الآيةَ، ثم رجعَ فتسوَّك فتوضَّأ ثم قام فصلى.

قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: «فيه أنه يستحبُّ قراءتُها عند الاستيقاظِ في الليلِ مع النظرِ إلى السماء لما في ذلك من عظيمِ التدبُّرِ».

وقيل للأوزاعي: ما غايةُ التفكُّر فيهنَّ؟ قال: «يقرؤُهنَّ وهو يعقِلُهنَّ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «النَّظرُ إلى المخلوقاتِ العلويةِ والسُّفليةِ على وجْهِ التفكُّرِ والاعتبارِ مأمورٌ به مندوبٌ إليه».

وكان شريح القاضي رَحِمَهُٱللَّهُ يقول لأصحابه: «اخرُجُوا بنا إلى السُّوقِ، فننظر إلى الإبلِ كيف خُلقت».

كما أن على الإنسانِ أن يستفيد من العلوم التجريبية والطبيعية في مجالِ التفكرِ، فكم من المخلوقات التي لم يكن أسلافُنا يعرفونها قد ظهرت للوجودِ! قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

٤ التفكُّرُ في نعمِ اللهِ تعالى.

كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٠ - ١٤].

٥ التفكر في العواقبِ وأمرِ الآخرةِ.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

وعن عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إني كنتُ نهيتُكم عن زيارةِ القبورِ فزورُوها فإنها تُذكِّرُكم الآخرةَ**». رواه أحمد، وصححه الألباني.

وقال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رَحِمَهُ اللهُ: «إني لأستلقي من الليلِ على فراشي فأتدبَّرُ القرآنَ، وأعرض عملي على عملِ أهلِ الجنةِ، فإذا أعمالهم شديدة: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٤] ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ [الزمر: ٩] فلا أراني فيهم، فأعرضُ نفسِي على هذه الآيةِ ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٤٢] فأرى القوم مكذِّبين، وأمرُّ بهذه الآيةِ ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة: ١٠٢] فأرجو أن أكونَ أنا وأنتم يا إخْوتاه منهم».

حدودُ التفكُّر ومحاذيرُه:

إن للتفكرِ حدودًا يجبُ على المسلمِ أن يقفَ عندها، فلا يشطحَ في تفكيرِه بعيدًا، من ذلك:

ذاتُ الله تعالى، وكيفيةُ صفاتهِ.

فلا يجوز للمسلمِ أن يتفكَّر في كيفيةِ ذاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو في كيفيةِ صفاتِه، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ الله، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الله عَزَّ وَجَلَّ».

رواه اللالكَائي، وحسنه الألباني.

أما التأمُّل في معاني أسماءِ اللهِ وصفاته، والعملُ بمقتضاها، دون بحثٍ عن الكيفيةِ، فهذا أمرٌ مطلوبٌ، وهو مقتضى النصوص.

عالَمُ الغيبِ.

فلا ينبغي للمسلمِ أن يتفكَّر في عالَمِ الغيبِ، ويحاول أن يتخيَّله، فالأمرُ أعظمُ من أن يُدْرَكَ بالعقلِ البشريِّ، وهذا من الفروق بين النظرةِ الإسلاميةِ والنظرةِ الغربيةِ إلى المخلوقاتِ، فالنظرةُ الغربيةُ الملحدةُ ظنَّت غرورًا وكِبْرًا أنه من الممكن تجربةُ ومعرفةُ كلِّ شيءٍ، والنظرةُ الإسلاميةُ وضعت لذلك حدًّا، وعلمت أن هناك أشياءَ لا يُمكن معرفتها، وحدودًا لا يمكن تجاوزُها، مثل: الروحِ وعالم الجنِّ وعالمِ الملائكةِ والقبرِ والنارِ والجنةِ والموقفِ وعرصاتِ القيامة، فهذه كلُّها من علم الغيبِ، الذي لا يمكنُ بحالٍ معرفتُه، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومن محذوراتِ التفكُّر:

ما يقوم به الصوفيةُ من ترك الواجباتِ والعكوفِ على التفكُّرِ، قال ابن العربي: «فأما طريقةُ الصوفيةِ، أن يكون الشيخ منهم يومًا وليلة وشهرًا مفكِّرًا لا يفتر؛ فطريقةٌ بعيدةٌ عن الصوابِ غيرُ لائقةٍ بالبشرِ، ولا مستمرةٍ على السُّنن».

أحوالُ السَّلفِ مع التفكُّرِ:

لما سألوا أمَّ ذرٍّ عن عِبادةِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: «كان النهارَ أجمعَ خاليًا يتفكَّر».

وسألوا أمَّ الدرداء عن أفضلِ عبادةِ أبي الدرداءِ؟ فقالت: «التفكُّر والاعتبارُ».

وكان سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ جالسًا في مجلسٍ، فانطفأ السراجُ، فعمَّت الظلمةُ الغرفةَ، فلما أضاؤوا السِّراجَ وجدوا سفيان ودموعُه تنهمرُ من عينيه، فقالوا: ما لك؟ قال: «تذكَّرت القبرَ».

وقيل لإبراهيم النَّخعي: إنك تطيل الفكرة، فقال: «الفكرة مخ العقل».

ثمرات التفكر

١ **زيادة الإيمان.** يقول خليفة العبدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى حتى أيقنَتْ قلوبهم بربهم».

٢ **الاجتهادُ في العملِ للآخرةِ، والزهدُ في الدنيا.** قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «التفكُّر في الخير يدعو إلى العمَلِ به، والندمُ على الشرِّ يدعو إلى تركهِ».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الفِكْر يثمر لصاحبه المحبَّةَ والمعرفةَ، فإذا فكَّر في الآخرةِ وشرفِها ودوامِها، وفي الدنيا وخِسَّتها وفنائها؛ أثمر له ذلك الرغبةَ في الآخرةِ والزهدَ في الدنيا، وكلما فكَّر في قِصَر الأملِ وضِيقِ الوقتِ أورثه ذلك الجدَّ والاجتهادَ، وبذلَ الوسعِ في اغتنام الوقتِ».

٣ **الخوفُ من الله واستشعار عظمته.** قال بشر بن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو تفكَّر الناسُ في عظمةِ اللهِ لما عصوا اللهَ».

وقيل: «الفكرةُ تُذهِب الغفلةَ، وتُحْدِث للقلب الخشيةَ».

٤ **معرفةُ حال النفسِ ومحاولةُ إصلاحِها.** قال الفُضَيْل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التفكُّر مرآة تُريك حسناتِك وسيئاتِك».

٥ **الارتقاءُ بالأُمةِ الإسلاميةِ.** فهؤلاء الدُّعاةُ والمصلحون والمجدِّدون في تاريخِ الأمة من المؤكدِ أن أولَ ما فعلوه هو النظرُ في حال المسلمين، ماذا ينقُصُهم؟ وأين الخللُ؟ وما هي الثغراتُ؟ ثم بعد ذلك شمّروا عن ساعد الجِدِّ والاجتهاد في سبيل الارتقاءِ بحال الأمةِ الإسلاميةِ، وإعادتها إلى سبيل اللهِ ورضوانه.

٦ **الإنجازُ العلمي.** قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استعينوا على الكلامِ بالصمتِ -أي: على وزنه وجودته-، وعلى الاستنباطِ بالفكرةِ».

فكيف أنتج العلماءُ هذا الإنتاجَ الغزيرَ؟! وكيف ألَّفوا هذه الكتبَ؟! وكيف تطورت هذه العلومُ وجُوِّدت؟! لا شكَّ أن جزءًا كبيرًا من ذلك كان نتيجةً للتأمُّلِ والتفكرِ.

٧ **الإنابةُ والمغفرةُ والرَّحمةُ.** كان سفيانُ بن عيينة دائمًا يتمثَّل هذا البيتَ:

إِذَا المَرْءُ كَانَتْ لَهُ فِكرَةُ ... فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِبْرَةُ

وقال: «التفكرُ مفتاحُ الرحمةِ؛ ألا ترى أنه يتفكر فيتوب!».

فضلُ التفكُّرِ: التفكر من خيرِ أنواعِ العبادةِ.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تفكُّر ساعةٍ خيرٌ من قيامِ ليلةٍ».

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ركعتان مقتصدتان في تفكُّرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ والقلبُ ساهٍ».

وعن محمد بن كعب القُرَظيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبحَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿الْقَارِعَةُ﴾ لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكَّر؛ أحبُّ إليَّ من أن أهُذَّ القرآنَ ليلتي، أو أنثرُه نثرًا».

أسباب التفكُّر الصحيح:

الاستعاذةُ من الشياطين.

قد دلنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الاستعاذة من إبليس قبل قراءة القرآن؛ لأن التفكُّر والتدبُّر في آياتِ القرآن الكريم من أهمِّ مجالات التفكُّر، والاستعاذة قبل الابتداء بقراءةِ القرآنِ سببٌ لطردِ الشيطان الموسوس للإنسان.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى في الاستعاذةِ عند ابتداءِ القراءةِ؛ لئلا يُلَبِّسَ على القارئِ قراءتَه، ويخلطَ عليه، ويمنعَه من التدبُّر والتفكُّر».

الابتعادُ عن المعاصي.

يقول تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال الحسن في تفسير هذه الآية: «أمنعُ قلوبَهم التفكُّرَ في أمري».



نشاط

١ لِمَ كان التفكُّر في ذاتِ اللهِ ممنوعًا، وما المشروع في ذلك؟

....

....

....

٢ اكتب مختصرًا في ثمراتِ التفكر، مضيفًا إليه من غير ما درست.

....

....

....

٣ بيِّن مواضعَ الآياتِ التي تحثُّ على التفكرِ.

....

....

....

المحاسَبة

النفسُ بطبيعتِها كثيرةُ التقلُّبِ والتلوُّنِ، تؤثِّر فيها المؤثِّراتُ، وتعصف بها الأهواءُ والأمراضُ، فتجنح لها وتنقاد إليها، وهي في الأصل تسير بالعبدِ إلى الشرِّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]؛ ولـــذا فإنَّ لها خَطَرًا عظيمًا على المرءِ إذا لم يستوقفْها عند حدِّها ويلجمْها بلجام التقوى والخوفِ من اللهِ تعالى، ويأطُرْها على الحقِّ أطْرًا.

المحاسبةُ في اللغةِ: العدُّ، وحَسَبَ الشيءَ يحسُبُه حُسبانًا وحِسابًا: عدَّه.

وفي الاصطلاح: النظرُ في أعمالِ النفسِ، واستدراكُ الأخطاءِ، والمضيُّ في الصَّالحاتِ.

قال المَاوَرْدِيُّ في المحاسبةِ: «أن يتصفَّحَ الإنسانُ في ليله ما صَدَرَ من أفعال نهارِهِ، فإن كان محمُودًا أمضاه، وأتبعَه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مَذمُومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقْبلِ».

المحاسبةُ في القرآنِ والسنةِ وأقوالِ العلماءِ:

أمر الله سبحانه عباده بمحاسبةِ أنفسهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

قال السَّعْديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة أصلٌ في محاسبة العبدِ نفسَه، وأنه ينبغي له أن يتفقَّدها، فإن رأى زللًا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبةِ النصوحِ، والإعراضِ عن الأسبابِ الموصلة إليه، وإن رأى نفسَه مقصِّرًا في أمرٍ من أوامر اللهِ بذل جهدَه، واستعان بربه في تكميله وتتميمه وإتقانه».

وقال تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

قـــال الحسنُ في تفسيرِ هذه الآية: «لا يُلقى المؤمنُ إلا يُعاتِبُ نفسَه: ماذا أردتُ بكلمتي؟ ماذا أردتُ بأكلتي؟ ماذا أردتُ بشربتي؟ والفاجرُ يمضي قُدُمًا لا يُعاتب نفسَه».

ومن السُّنة حديث شدَّاد بن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ -أي: حاسبها في الدنيا قبل الآخرة -، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**». رواه أحمد والترمذي، وحسَّنه.

كما أن محاسبةَ النفسِ من الأعمالِ المجمعِ عليها بينَ العلماءِ:

قال العزُّ بن عبد السَّلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع العلماءُ على وجوبِ محاسبةِ النفسِ فيما سلفَ من الأعمالِ، وفيما يُستقبلُ منها».

أنواعُ المحاسبةِ، وهي نوعان:

الأول: قبلَ العملِ:

وهو أن ينظرَ العبدُ في هذا العمل، هل هوَ قادرٌ عليهِ فيعملَه، مثل الصيامِ والقيامِ، أو غيرُ قادرٍ عليهِ فيتركَه؟ ثم ينظر: هل في فعله خيرٌ في الدنيا والآخرة فيعمله، أو في عملِه شرٌّ في الدنيا والآخرةِ فيتركه؟ ثم ينظرُ هل هذا العملُ للهِ تعالى أم هو للبشرِ؟ فإن كان سيعملُه للهِ فعلَهُ، وإن كانت نيَّتُه لغيرِهِ ترَكهُ.

قال الحسنُ: «كان أحدُهم إذا أرادَ أن يتصدَّقَ بصَدَقةٍ تثبَّت؛ فإن كانت للهِ أمْضَاها، وإن كانت لغيره توقَّفَ».

الثاني: بعدَ العملِ، وهو ثلاثةُ أنواعٍ:

١ الأولُ: محاسبةُ النفسِ على الطاعات، ومداومة سؤال النفس: هل أديتَ هذه الفريضةَ على الوجه الأكمل مخلصًا فيها لله تعالى، وَوَفْق ما جاء عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وكذا النوافل، هل تركتَ بعض النوافل، أو لم تتلُ القرآنَ، أو لم تلتزم بالذكر اليوميِّ، هل قصَّرتْ فيه؟.

وثمرةُ محاسبةِ النفسِ في هذا النوعِ يكون بإكمالِ النقصِ وإصلاحِ الخطأ، والمسارعةِ في الخيرات وترك النواهي والمنكراتِ، والتوبةِ منها، والإكثارِ من الاستغفار.

٢ الثاني: محاسبةُ النفسِ على المعاصي التي فعلها، والسيئاتِ التي ارتكبها، وما حمله عليها، وماذا لو تراجَعَ عنها قبلَ الوقوعِ فيها؟

وبعد أن يحاسبَ نفسَه هذه المحاسَبةَ، ينتقل إلى الثَّمرةِ والنتيجةِ، ألا وهي العَمَلُ على تكفيرِ تلك المعصيةِ، فيتدارك نفسَه بالتوبةِ النصوحِ وبالاستغفارِ والحسناتِ الماحيةِ المذهبةِ للسيئاتِ؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

٣ الثالث: محاسبتُها على أمرٍ، كان تركُه خيرًا من فعله، أو على أمرٍ مباحٍ، ما سببُ فعله له؟ فيُوجِّه لنفسه أسئلةً متكرِّرةً: لِمَ فعلتُ هذا الأمرَ؟ أليس الخيرُ في تركه؟ وما الفائدةُ التي جنيتها منه؟ هل هذا العملُ يزيد من حسناتي؟



مراتبُ المحاسبةِ:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحاسب نفسه أولًا على الفرائض، فإن تذكر فيها نقصًا تداركه، إما بقضاء أو إصلاح.

ثم يحاسبها على المناهي، فإذا عرف أنه ارتكب منها شيئًا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خُلِق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى.

ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مَشَت إليه رجلاه، أو بطشت يداه، أو سمعت أذناه: ماذا أردتُ بهذا؟ ولمن فعلتُه؟ وعلى أيِّ وجهٍ فعلته؟

ويعلم أنه لابدَّ أن يُنشر لكل حركةٍ وكلمةٍ منه ديوانان: ديوان لمن فعلته؟ وكيف فعلته؟ فالأول سؤالٌ عن الإخلاصِ، والثاني سؤالٌ عن المتابعةِ».

ثمراتُ المحاسبةِ:

١- **النجاةُ والفلاحُ**. قال الحسنُ: «إن العبدَ لا يزالُ بخيرٍ ما كان له واعظٌ من نفسِهِ، وكانت المحاسبةُ من همِّه».

٢- **تخفيفُ الحسابِ يومَ القيامةِ**. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حاسِبُوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبُوا، فإنه أهونُ لحسابِكُم، وزنوا أنفسَكم قبل أن تُوزَنوا، فإنه أهونُ عليكم، وتجهَّزُوا للعرضِ الأكبرِ».

قال الحسنُ البصريُّ: «المؤمنُ قوَّامٌ على نفسِه يحاسبُها لله، وإنّما خفَّ الحسابُ على قومٍ حاسَبوا أنفسَهم في الدُّنيا، وإنّما شقَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على قومٍ أخذوا هذا الأمرَ من غيرِ مُحَاسبةٍ».

٣ **المحافظةُ على الإيمانِ والوقايةُ من النِّفاقِ والفُسُوقِ.** قال الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمنُ يحاسِبُ نفسَهُ، ويعلم أنَّ له موقِفًا بين يدي الله تعالى، والمنافقُ يغفُلُ عن نفسه، فرحم اللهُ عبْدًا نظر لنفسه قبل نزولِ مَلَكِ الموتِ به».

٤ **اكتشافُ مساوئِ النفسِ وعيوبِها، وعدم الاغترار بالعمل.** قال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما دخلت في شيء من أعمال البرِّ، فخرجت منه، فحاسبت نفسي؛ إلَّا وجدتُ نصيبَ الشيطانِ فيه أوفرَ من نصيبِ الله تعالى».

٥ **التواضعُ للهِ، ومعرفةُ قدرِ النفسِ.** كان محمدُ بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «لو كان للذنوبِ ريحٌ ما قدر أحدٌ أن يجلسَ إليَّ»!! مع أنه من كبار العُبَّاد في هذه الأمةِ.

٦ **الاستفادةُ من الأوقاتِ.** إن محاسبةَ النفس تُفْضي بالإنسان إلى أن يستغلَّ أوقاتَه أفضلَ استغلالٍ؛ قال ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، كان يحاسبُ نفسَه على الأنفاسِ، لا يدعُ وقتًا يمضي عليه بغير فائدةٍ، إما ينسخُ، أو يدرسُ، أو يقرأُ».



مما يُعينُ على المحاسبةِ:

١

اليقينُ بـأن اللهَ تعالى مطَّلِعٌ على ما في نفسِهِ. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥] أي: حاسِبُوا أنفسَكُم.

٢

معرفته أنه بمحاسبةِ نفسِهِ سيستريحُ غدًا. قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعينُه على هذه المراقبةِ والمحاسبةِ: معرفتُه أنه كلما اجتهد فيها اليومَ استراح منها غدًا إذا صار الحسابُ إلى غيرِهِ».

٣

التفكُّر في أسئلةِ القيامةِ. وهذا كفيلٌ بأن يجعلَ العبدَ يحاسب نفسَه، ويتَّجهُ إلى الله، ويترك الإهمالَ والهوى، ويتبع الحقَّ، ويلزم نفسه الفرائضَ، وتركَ المحرماتِ، والاستكثارَ من المستحباتِ، والبعدَ عن المكروهاتِ والمشتبهاتِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

والسؤالُ ليس موجَّهًا للكفارِ والفُسَّاق فحسْبُ، بل هو متوجهٌ للصالحين والرُّسل أيضًا، قال سبحانه: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]. وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

٤

تذكُّر أهوالِ يومِ القيامةِ. كتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى عَدِيٍّ بنِ أَرْطَاةَ: «اتقِ اللهَ يا عَديُّ، وحاسبْ نفسَك قبلَ يومِ القيامة».

٥

تذكُّرُ الموتِ. تكلَّم رجلٌ بغيبةٍ عند مَعْرُوفٍ الكَرْخِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال له: «اذكر القُطنَ إذا وضعوه على عينيك».

السلفُ الصالحُ والمحاسبةُ:

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال خرجتُ مع عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتى دخل حائطًا، فسمعته وهو يقول، وبيني وبينه جدارٌ، وهو في جوفِ الحائط: «عمر بن الخطاب أمير المؤمنين! بخٍ! بخٍ! والله لتتقِينَّ اللهَ أو ليعذبنَّك!».

وحين فاتته صلاةُ العصرِ في جماعةٍ تصدَّق بأرضٍ قيمتها مائتا ألفِ درهمٍ!!.

وكان ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إذا فاتته صلاةٌ في جماعةٍ أحيا تلك الليلةَ كلَّها.

وأخَّر عمرُ بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ ليلةً صلاةَ المغربِ حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين، مع أن وقتَ الصلاةِ لم يخرج!!

وفاتت ابنَ أبي ربيعة رَحِمَهُٱللَّهُ ركعتا سنةِ الفجرِ فأعتق رقبةً!!.

وابن عون رَحِمَهُٱللَّهُ نادته أُمُّه، فأجابها، فعلا صوتُهُ صوتَها فأعتقَ رقبتين!.

نشاط

١ كيف كانت هذه الآيةُ من أصولِ المحاسبةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر: ١٨]؟

....

٢ للمحاسبةِ فوائدُ وثمراتٌ جليلةٌ، اذكرها، مستحضِرًا بعضَ الآثارِ.

....

٣ كيف يحاسبُ العبدُ نفسَهُ إن كان بعدَ العملِ؟ فصِّل ما تقولُ.

....

التَّوكُّل

التوكُّل على اللهِ من أعظمِ أسبابِ النَّجاحِ، وهو أمرٌ يحبُّه اللهُ ويرْضَاه، وهو من أعلى مقاماتِ التوحيدِ، ومن أهمِّ ما ينبغي للعبدِ أن يتخذَه في سَيْره إلى اللهِ تعالى، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

التوكُّل في اللغة: توكَّل بالأمرِ: إذا ضمن القيام به. ووكَّلْتُ أمري إلى فلان: اعتمدت في أمري عليه.

وفي الاصطلاح: قال الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل: الثِّقةُ بما عندِ اللهِ، واليأسُ مما في أيدي الناسِ».

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكُّلُ هو صِدْقُ الاعتمادِ على اللهِ عَزَّوَجَلَّ، في جلبِ المنافعِ، ودفع المضارِّ، مع فعلِ الأسبابِ التي أمر اللهُ بها».

وقد حَضّ الله عباده المؤمنين على التوكل في مواضع عديدة من الكتاب العزيز:

كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واصفًا عباده المؤمنين في معرض الثناء والمدح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

منزلةُ التوكلِ في الدِّين:

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكُّل نصفُ الدِّينِ، والنصفُ الثَّاني الإنابةُ، فإن الدِّين استعانةٌ وعِبادةٌ، فالتوكل هو الاستعانةُ، والإنابة هي العبادةُ».

فهو أحدُ مباني توحيدِ الأُلوهيةِ، كما يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

التوكُّلُ شرطُ الإيمانِ:

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

اعلم أن مَنْ وكَلَ أمورَه إلى اللهِ، ورضي بما يقضيه له ويختاره، فقد حقَّق التوكلَ عليه، وأما من وكل أموره لغير الله، وتعلق قلبه به، فهو مخذولٌ غافلٌ عن ربه جَلَّ وَعَلَا.

روى ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من أصابته فاقةٌ فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقته، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى**». رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه.

قول "حسبنا الله ونعم الوكيل":

عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل». قالها إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينَ أُلْقِيَ في النارِ، وقالها محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا: حسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ» رواه البخاري.



أهمّيةُ الأخْذِ بالأسْبابِ:

علَّم الله عَزَّوَجَلَّ عبادَه الأخذَ بالأسبابِ، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وكذلك رسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله: أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟، قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ». [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وأما مَن تركَ الأسبابَ، واحتج بالتوكل فهو من المتواكلين، والتواكُلُ قولٌ رديءٌ، وقدحٌ في العقل، وهو عملُ البطَّالين.

ولما سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن هؤلاء الذين يزعمون أنهم متوكِّلة ويقولون: نقعد وأرزاقنا على الله عَزَّوَجَلَّ؟

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا قول رديء! أليس الله قد قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩-١٠]».

وليس المقصودُ أن يُرهِقَ الإنسانُ نفسَه في اتخاذِ الأسبابِ، ويكلفها ما لا تطيقُ، بل يكفي اليسيرُ غيرُ المرهق، ومع العزيمةِ والتوكلِ يحصُل كلُّ شيءٍ.

وإذا عُدِم الإنسانُ كلَّ سببٍ ممكن؛ فلا ينسى أعظمَ الأسْبابِ وأقْواها، ألا وهو دعاءُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ والاستغاثةُ به.

التوكُّلُ على غير الله تعالى، وأقسامه ثلاثة:



الأول: التوكلُ في الأمورِ التي لا يقدرُ عليها إلا اللهُ، كالذين يتوكَّلون على الأمْواتِ والطَّواغيتِ في رجاءِ مطالبِهِم، من نصرٍ أو حفظِ رزقٍ أو شفاعةٍ، فهذا شركٌ أكبرُ.

الثاني: التوكلُ في الأسبابِ الظاهرةِ، كمن يتوكلُ على أميرٍ أو سلطانٍ فيما أقْدَرَهُ اللهُ تعالى عليه، من رزقٍ أو دفعِ أذى ونحو ذلك، فهو نوعٌ من الشِّركِ الأصغرِ.

الثالث: توكيلُ الإنسانِ غيرَه في فعل ما يقدِرُ عليه نيابةً عنه وهذا جائز، لكن ليس له أن يعتمِدَ عليه في حصولِ ما وُكِّل فيه، بل يعتمد على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها، بل يعتمد على المسبِّب الذي أوجد السبب والمسبَّب.

ثمراتُ التوكلِ:

١ الكفايةُ في كل شيءٍ، والنصرُ على الأعداءِ، وحفظ النفس والأهل والولد. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وحينما نصح يعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أبناءَه بالنصائحِ التي تحفظُهم أوْكَلَ أمره بعد ذلك إلى الله، فقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف:٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**». رواه الترمذي وصححه الألباني.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث أصلٌ في التوكلِ، وأنه من أعظمِ الأسبابِ التي يُستجلبُ بها الرزقُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وَإِنِّي كَفِيلٌ بِالنَّجَــاةِ مِنَ الأَذَى   لِمَنْ لَمْ يَبِتْ يَدْعُو سِوَى الله نَاصِرَا

٢ **محبَّةُ اللهِ تعالى.** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٣ **دخولُ الجنةِ بغير حسابٍ.** ففي حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قِيلَ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وهُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. متفق عليه.

٤ **الحفظُ من الشيطانِ.** قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيمن خرج من بيته، إذا قال: «**بِسْمِ الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ**». رواه الترمذي وصححه الألباني.

٥ **الرَّاحةُ النفسيَّةُ، والعَزيمةُ على العَمَلِ، والعِزُّ والغِنى.** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو توكَّل العبْدُ على اللهِ حقَّ توكُّلِه في إزالةِ جبلٍ من مكانه، وكان مأمورًا بإزالته لأَزَالَه».

الأمورُ المنافيةُ للتوكُّلِ:

١

التطيرُ والتشاؤمُ.

وقد حذَّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطِيَرةِ، فقال: «الطيرةُ شِركٌ». أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح.

٢

الذهابُ إلى الكَهنةِ والعرَّافين والمنجِّمين لمعرفةِ الغيبِ.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية أنه لما أراد عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يسافر لقتال الخوارج عرض له مُنَجِّمٌ، فقال: يا أمير المؤمنين لا تسافرْ؛ فإن القمر في العقربِ، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هُزم أصحابك.

فقال عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بل نسافرُ ثقةً بالله، وتوكُّلًا على اللهِ، وتكذيبًا لك.

فسافر فبُورِك له في ذلك السَّفرِ، حتى قتلَ عامَّةَ الخوارجِ.

٣

تعليقُ التمائمِ.

كتعليقِ الخرزاتِ أو العيونِ الزرقاءِ أو الأحْجِبةِ التي يأخذونها من الدجَّالين والمشعوِذين؛ أو بعض الحيواناتِ الميتة، على باب البيتِ، وعلى السيارةِ ونحوه، يقصدون بها حمايةَ أنفسِهم!!

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذامًّا هذا الفِعْلَ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ». رواه الترمذي وأحمد، وقال الألباني: حسن لغيره.

فعندما تعلَّقوا بالتمائمِ، ولم يتوكَّلوا على اللهِ عَلَّقهُمُ اللهُ بما تعلَّقوا به؛ وكفى بذلك خسرانًا.

٤

عدمُ الأخذِ بالأسبابِ، من السَّعي في طلبِ الرِّزق.

وقد قال ﷺ: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». متفق عليه.

وقال ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». رواه البخاري.

أو عدمُ السعي في طلبِ العلاجِ. وقد أمر النبيُّ ﷺ بالتداوي فقال: «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ». رواه الترمذي، وصححه الألباني.

وقال ﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ له شِفَاءً». رواه البخاري.

من قَصَصِ المتوكلين

النبيُّ ﷺ في الغار. عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغارِ: لو أن أحَدَهم نظر تحتَ قدمَيْه لأبصرنا. فقال: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا!!» متفق عليه.

المرأةُ وعَنَزاتُها. عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ امْرَأَةً خَرَجَتْ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكَتْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ عَنْزًا لَهَا وَصِيصِيَتَهَا -أي: مغزلها- كَانَتْ تَنْسِجُ بِهَا فَفَقَدَتْ عَنْزًا مِنْ غَنَمِهَا وَصِيصِيَتَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ إِنك قَد ضمنتَ لِمن خَرَجَ فِي سَبِيلِكَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيْهِ، وَإِنِّي قَدْ فَقَدْتُ عَنْزًا مِنْ غَنَمِي وَصِيصِيَتِي، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ عَنْزِي وَصِيصِيَتِي، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ شِدَّةَ مُنَاشَدَتِهَا لِرَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَصْبَحَتْ عندها عَنْزُهَا وَمِثْلُهَا وَصِيصِيَتُهَا وَمِثْلُهَا» رواه أحمد، وصححه الألباني.



نشاط

١ كيف يجمع العبدُ بين الاعتمادِ والتوكلِ على اللهِ، والأخذِ بالأسبابِ؟

....

....

....

٢ اكتب بحثًا في الرَّدِّ على القائلين بعدمِ الأخذِ بالأسبابِ، مبيِّنًا سفاهةَ عقولِهم، وتناقُضَهم.

....

....

....

٣ اكتب مختصرًا في الأمورِ المنافيةِ للتوكلِ.

....

....

....

والله وليُّ التوفيق

برنامج أكاديمية زاد:

هو برنامج تعليمي يهدف إلى تقريب العلم الشرعي للراغبين، عن طريق شبكة الإنترنت، وعن طريق البث المباشر عبر قناة  ZAD TV، والهدف الرئيس من هذا البرنامج توعيةُ المسلم بما لا يسعه جهله من دينه، ونشرُ وترسيخُ العلم الشرعي الرصين، القائم على كتابِ اللهِ وسنّةِ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صافيًا نقيًّا، بفهمِ خير القرونِ، وبطرحٍ عصريٍّ مُيسّرٍ، وبإخراجٍ احترافيٍّ.

هذا البرنامج مقدم من International Islamic Academy Society الكندية.

علم التربية الإسلامية:



يدرس الطالب في هذا الكتابِ أبوابًا متنوعة في الثقافة الإسلامية، والتي لا ترتبط بمنهج من المناهج السابقة، فيدرس الحقوقَ كاملةً، حقَّ الله ثم حقَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم حقَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم حقَّ الوالدين ثم حقَّ الزوجِ والزوجة.. إلخ، ثم يتبع ذلك بدراسةِ أعمالِ القلوبِ كاملةً، من الإخلاصِ والتوكل والصبر والرضا.. إلخ، ثم يدرس الآدابَ الشرعيةَ، ثم ينهي ذلك بدراسة بعضِ التياراتِ العقديةِ والفكريةِ المعاصرة.















www.zad-academy.com

www.zadgroup.net

www.zad.tv

المملكة العربية السعودية

+966 - 504446432

KSA-Jeddah21352P.O.Box:126371

جدة - 21352 - ص.ب: 126371

الإمارات العربية المتحدة

zad group FZ LLC

UAE - Abu dhabi

P.O.Box77770 أبو ظبي ص.ب


ZADTVChannel
ZAD Academy


ZADTVChannel
AcademyZAD